الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧١ - ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٤ - السنة الثانية

2me Année, No. 71.

Lundi-12-11-1934

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم | ٤٢٣٩٠
| ٤٠٥٣٠

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

العــــدد ٧١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ شعبان سنة ١٣٥٣ — ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــــدد

داء الوظيفــــة

قال وهو يقلب كفيه من الهم ، ويَعَض على يديه من الغضب : سقط الوزير سقوط الورقة الجافة قبل أن يمضى القرار بالوظيفة ، فهل رأيت مثل هذا الحظ المتخلف والقدر العابث ؟... فقلت له : هون عليك يا بني ، ولا تسلط على نفسك أساك ، إن معك الشباب القادر ، والأمل الطموح ، والثروة المساعدة ، ودبلوم الزراعة التى تفتح لك كنوز الأرض ، وتُدر عليك أخلاف السماء ، وفى القرية متسع لأمثالك ممن يحيون مَواتها ، ويجددون حياتها ، ويفيضون على أهلها نعمة العلم ، وخير المدنية ، ونعيم الحضارة ؛ فلِمَ لا تستأجر مزرعة فى بعض دوائر الأمراء تجرب فى استغلالها كفايتك وإرادتك وحظك ؟ إنك إذا فعلت عصمت نفسك من رق الوظيفة ، وخلقك من فتنة الحكومة ، وعلمك من آلية العمل ، ورزقك من تحديده بالمرتب ، وقدرك من قياسه بالدرجة . فأجاب وفى عينيه سهوم العجب من هذا الرأى : مالي أدفع بنفسى فى هذه المغامرة المجهولة ، والوظيفة تضمن حاضرى بالمرتب ، وتُؤمن مستقبلى بالمعاش ؟ والقليل المتصل خير من الكثير المنقطع ، والموضع المتطامن المتماسك ، أصلح للقرار من الرفيع المترجح ...

فقلت له : ذلك كلام لاكته الألسن حتى تفه ، وتقبلته الآذان حتى سمج . ولقد كان له مساغه وبلاغه يوم كانت المدارس معامل لتخريج الكتبة والحسبة للحكومة ؛ فأما اليوم وقد امتد أفق التعليم ، واتسع نطاق المنهج ، وانفسح مجال العمل ، وتحققت الحرية للفرد ، وتيسر الارتحال للشباب ، وحان الحين ليسترد المصريون جماعات ووحداناً مرافق بلادهم وموارد أرزاقهم من الأجانب ، فان الاخلاد إلى المقاعد الأميرية إخلاد إلى العجز ، واطمئنان إلى الهون ، وانخزال عن تحرير الوطن

قال : ولكن فريقاً من الشباب ارتجلوا بعض الأماني الاقتصادية الجماعية في الزراعة والتجارة والملاهي ، فوردوا عن خسارة وصدروا عن فشل . فقلت له : إن هؤلاء فاروا عن حرارة وقتية ، وثاروا عن ريح عابرة ، فاعتسفوا الأمر قبل أن يخبروه ، وزاولوه دون أن يفرغوا له ، وأخطأوا تقدير المنافسة الأجنبية فأخطأهم التوفيق ؛ ومالك تقيس أمرك بهذا المقياس المختل وأمامك المقاييس العليا تتواثب في عينيك من كل مكان ؟ ألم تر إلى اليوناني أو الطلياني كيف يفد عليك من غير رأس مال ، ولا شهادة جامعة ، ولا توصية وزير ، ولا تعضيد جمهور ، ولا تحميس صحافة ، فيحترف وضائع الحرف ، ويحتمل مكاره الفوز ، ويتفرغ معالي الأمور في روية وصبر ، حتى بلغ به نشاطه أن يدير عمارة المدينة ، ويصرّف تجارة القرية ، وينتج زراعة العزبة ، فيبيع عليك غلة أرضك ، ويستعبدك بربا مالك ، وأنت جالس جلسة الأجير على مكتبك الحقير تكنس لنعاليه الطرق ، وتشق لعينيه الحدائق ، وتكفل لمتاجره الأمن ، وتدبر لمزارعه الماء ، وتتقبل على كل ذلك دغل الصدر وقسوة اللسان وقحة النظر !

* * *

رأى صديقي الفتى أن لهجتي لا تلائم جمه الغالب ، ومنطقي لا يساير منطقه اليائس ، فتولى عني غير راض ولا مقتنع ، وتركني أحدث نفسي ، وأقارن بين يومي وأمسي ، فأجدني بين عملي المقيد الذي انصرفت عنه ، وعملي الحر الذي انصرفت اليه ، أشبه بالسجين المقيد يعمل برأي غيره ، ولحساب غيره ، فلا يتحرك ولا يسكن إلا بأمر ، ولا يسير ولا يقف إلا في نظام ، وهو يأكل حين لا يشتهي ، وينام حين لا يريد ، ويستيقظ حين لا يحب ، وتتعطل ملكاته حتى يصبح كالانسان الصناعي : قوة محركة وآلة ، ثم يدركه لطف الله فتتفكك عنه السلاسل وتتفتح له الأبواب ، فيجد عقله في النور ، وخُلقه في الطبيعة ، وحريته في الجو ، ووجوده في المجتمع ! فينبت الريش الناسل ، ويخفق الجناح المهيض ، وتتكشف الآفاق الجديدة !

* * *

إن أولى الناس بالرثاء لأولئك الذين سُلبوا جوهرة الحياة وحرية العيش ، وعاشوا في ظلام الوجود مكبين على مكاتبهم ، مغلولين عن الحركة ، مكمومين عن الشكوى ، يستقطرون الرزق من شق القلم ، ولا يصيبون من أجورهم سداداً من عوز ولا غنى من فاقة

يدخل الموظف الديوان وهو ابن عشرين ، فيودع عاماً ويستقبل عاماً حتى يأخذ بمخنق الستين وكأن لم يحدث في العالم شيء ! يختلف الليل والنهار ، وتتبدل الأحوال والأطوار ، وهو على مكتبه الضيق في غرفته المظلمة ، يعمل ساعة ويجترُّ أخرى ، دون أن يشعر بدوران الفلك ، أو يفطن إلى حركات العالم

يدخل الديوان وهو طرير الشارب ، أثيث الجمة ، ريان من الشباب والقوة والأمل ؛ ثم يودعه وهو مخدد الوجه ، أشيب الشعر ، متداعي الجسم ، فقير من المنى والذكر والمال ، لا يصلح إلا عموداً في مسجد ، أو منضدة في قهوة . وربما أقصدته المنون لانقطاعه بغتة عما ألف من عادة شديدة ، وحياة رتيبة ، وأعمال واحدة ، في ساعات لا تختلف ولا تتبدل

* * *

أيها الموظفون ! إن لابتغاء الرزق موارد غير هذا المورد الناضب ، ولخدمة الأمة مواقف غير هذا الموقف الكاذب ؛ فتجافوا بأنفسكم عن هذه المقاعد ، فانها مواطن الذل والملق ، ومساكن الفقر والجهل ، ومكامن الخول والموت ، واقرأوا على أبوابها ما كتبه (دانتي) على أحد أبواب الجحيم :

« قوضوا حصون آمالكم ، وأضمروا اليأس من مآلكم ، أيها الداخلون ! »

أحمد حسن الزيات

تصويب

وقع في افتتاحية العدد الماضي أخطاء مطبعية لم نر بداً من تصحيحها فقد جاء فيها : وصرفنا ذاك من مطلب . والصواب عن مطلب

وجاء « : كنا نتواصى على الصبر « بالصبر

« « : بل وربما طالوهم « بل ربما

بنت الباشـــا ...

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

كانت هـذه المرأةُ وضَّاحةَ الوجه زهراءَ اللون كالقمر الطالع ، تحسبُها لجمالها قد غـذَّتها الملائكةُ بنور النهار ، وروَّتها من ضَوء الكواكب

وكانت بَضَّةً مُقَسَّمةً أبدعَ التقسيم ، يلتفُّ جسمُها شيئاً على شىء التفافاً هندسياً بديعاً ، يرتفع عن أجسام الغِيد الحِسانِ ، أفْـرِغَ فيها الجمالُ بقدرِ ما يُمكن — إلى أجسام الدُّمَى العبقريةِ التى أُفرغ فيها الجمالُ والفنُّ بقدر ما يستحيل

وكانت باسمةً أبداً كأوَّلِ ما يتلألأُ الفجر ، حتى كأنَّ دمَها الغَزَلِىَّ الشاعرَ يصنعُ لثغرها ابتسامتها ، كما يصنعُ لخدَّيها حُمرتَيهما

ما لها جلست الآن تحت الليل مُطرِقةً كاسِفةً ذابلة ، تأخذُها العينُ فما تشكُّ أن هذا الوجهَ قد كان فيه مَنْبَعُ نورٍ وغاض ! وأن هذا الجسمَ الظمآنَ المعروقَ هو بُقعةٌ من الحياة أُقيمَ فيها مأتم !

ما لهذه العين الكحيلة تُذْرِى الدمعَ وتسترسلُ فى البكاء وتَلِجُّ فيـه ، كأن الغادةَ المسكينةَ تُبصر بين الدموع طريقاً تُفضى منـه نفسُها الى الحبيب الذى لم يَعُد فى الدنيا ؛ الى وحيدِها الذى أصبحتْ تراه ولا تلمسه ، وتكلِّمه ولا يَرُدُّ عليها ؛ إلى طفلِها الناعمِ الظريفِ الذى انتقل الى القبر ولن يرجع ، وتتمثَّلُه أبداً يريد أن يجىء اليها ولا يستطيع ، وتتخيلُه أبداً يصيح فى القبر يناديها « يا أمى ، يا أمى . . »

قلبها الحزينُ يقطِّع فيها ويُمزِّقُ فى كل لحظة ؛ لأنه فى كل لحظة يريد منها أن تضمَّ الطفل الى صدرها ، ليستشعرَهُ القلبُ فيفرحَ ويتهنَّأ إذ يمسُّ الحياةَ الصغيرةَ الخارجةَ منه . ولكن أين الطفل ؟ أين حياةُ القلبِ الخارجةُ من القلب ؟

لا طاقة للمسكينة أن تُجيب قلبَها إلى ما يطلب ، ولا طاقة لقلبها أن يَهدأ عمّا يطلب ؛ فهو من الغيظ والقهر يحاولُ أن يُفجِّرَ صدرَها ، ويريد أن يدقَّ ضلوعَها ، ليخرجَ فيبحثَ بنفسه عن حبيبـه !

مسكينةٌ تترنَّحُ وتتلوَّى تحت ضرباتٍ مُهْلِكةٍ من قلبها ، وضرباتٍ أخرى من خيالها ، وقد باتت من هذه وتلك تعيش فى مثل اللحظة التى تكون فيها الذبيحةُ تحت السكِّين . ولكنها لحظةٌ امتدَّت الى يوم ، ويومٌ امتد الى شهر . يا ويلَها من طول حياة لم تَعُدْ فى آلامها وأوجاعها إلا طولَ مدَّة الذَّبح للمذبوح

ولو كان للموت قِطارٌ يقف على محطَّةٍ فى الدنيا ، ليحملَ الأحبابَ إلى الأحباب ، ويسافرَ من وجود الى وجود ، وكانت هذه الأمُّ جالسةً فى تلك المحطة منتظرة تتربص ، وقد ذُهِلت عن كل شىء ، وتجردت من كل معانى الحياة ، وجمدت جمودَ الانتقال الى الموت — لما كانت إلا بهذه الهيئة فى مجلسها الآن فى شرفتها من قصرها ؛ تُطلّ على الليل المظلم وعلى أحزانها . . . !

* * *

هى فلانة بنت فلان باشا وزوجة فلان بك . ترادَفت النِّعمُ على أبيها فيما يَطلبُ وما لا يطلب ، وكأنما فرَغَ من اقتراحه على الزمان واكتفى من المال والجاه ، فلم يُعجِب الزمانَ فأخذ يقترح له ويصنع ما يقترح ، ويزيدُه على رغمه نعماً تتوالى !

وكان قد تقـدم إلى خِطبة ابنته شابٌ مهذَّب ، يملك من نفسه الشبابَ والهمةَ والعلم ، ومن أسلافه العنصرَ الكريم والشرفَ الموروث ، ومن أخلاقه وشمائله ما يُكاثِر به الرجالَ ويُفاخر . بَيْدَ أنه لا يملك من عيشه إلا الكَفافَ والقِلّة ، وأملاً بعيـداً كالفجر وراء ليلٍ لا بد من مُصابرته الى حين يَنْبثِقُ النور

وتقدم صاحبنا الى الباشا فجاءه كالنجم عارياً ؛ أى فى أزهى نورانيته وأضوَئها . وكان قد عَلِقَ الفتاةَ وعُلِّقته ، فظنَّ عند نفسه أن الحب هو مالُ الحب ، وأن الرجولة هى مالُ الأنوثة ، وأن القلوب تتعامل بالمَسرَّات لا بالأموال ؛ ونسى أنه يتقدم الى رجلٍ مالىّ جعلتْه حقارةُ الاجتماع رُتبة ، أو الى رتبةٍ ماليـة جعلتها حقارةُ الاجتماع رجلاً . . وأنَّ كلمة « باشا » وأمثالها ، إنما تخلّفت عن ذلك المذهب القديم : مذهبِ الألوهية الكاذبة التى انتحلها فرعونُ وأمثالُه ، ليتعبَّدوا الناسَ

منها بألفاظ قلوبهم المؤمنة ؛ فاذا قيل « إلـه » كان جواب القلب : « عزّ وجلّ » ، « سُبحانه »

ولما ارتقى الناسُ عن عبادة الناس ، تلطفتْ تلك الألوهيةُ ونزلت إلى درجات إنسانية ، لتتعبّد الناسَ بألفاظٍ عقولهم الساذجة ؛ فان قيل «باشا» كان جواب العقل الصغير : « سعادتلو أفندم (١) ! »

نسى الشاب أنه « أفندى » سيتقدم إلى « باشا » وأعماه الحبُّ عن فَرْقٍ بينهما ؛ وكان ساميَ النفس ، فلم يدرك أن صغائر الأمم الصغيرة لابد لها أن تنتحل السموَّ انتحالاً ، وأن الشعب الذى لايجد أعمالاً كبيرة يتمجّد بها ، هو الذى تخترع له الألفاظُ الكبيرة ليتلهّى بها ؛ وأنه متى ضعف إدراكُ الأمة ، لم يكن التفاوتُ بين الرجال بفضائل الرجولة ومعانيها ، بل بموضع الرجولة من تلك الألفاظ ؛ فان قيل « باشا » فهذه الكلمة هى الاختراعُ الاجتماعى العظيم فى أمم الألفاظ ، ومعناها العلمىّ : قوةُ ألف فدان أو أكثر أو أقل ؛ ويقابلها مثلاً فى أمم الأعمال الكبيرة لفظ « الآلة البخارية » ومعناها العلمى قوة كذا وكذا حصاناً أو أقلّ أو أكثر !

نسى هذا الشاب أن « أمم الأكل والشرب » فى هذا الشرق المسكين ، لاتتم عظمتها إلا بأن تضع لأصحاب المال الكثير ألقاباً هى فى الواقع أوصافٌ اجتماعيةٌ للمَعِدة التى تأكل الأكثر والأطيب والألذّ ، وتملك أسباب القدرة على الألذّ والأطيب والأكثر

وتقدم (الأفندى) يتودّد إلى (الباشا) ما استطاع ، ويتواضع وينكمش ، ولا يألوه تمجيداً وتعظيماً ؛ ولكن أين هو من الحقيقة ؟ إنه لم يكن عند الباشا إلا أحمق ؛ إذ لم يعرف أن تقدّمه إلى ذلك العظيم كان أولُ معانيه أن كلمة « أفندى » تطاولت إلى كلمة « باشا » بالسبّ عَلَناً . . . !

***

وانقبضوا عن (الأفندى) وأعرضوا عنه إعراضاً كان معناه الطرد ؛ ثم جاء (البك) يخطب الفتاة

و « بك » مَنبهَة للاسم الخاطب ، وشرفٌ وقَدْرٌ وثناء اجتماعى ، وذِكْر شهير ، وإرغامٌ على التعظيم بقوة الكلمة ، ودليلٌ على الحُرُمَات اللازمة للاسم لزومَ السواد للعين ، ولو لم يكن تحت (بك) رجل ، فان تحتها على كل حال (بك) . . . !

وأنعَمَ له الباشا ، ووصل يَده بيد ابنته فألبَسها وألبَسته ، وأعلمها أبوها أنه قد فَحَصَ عن البك فاذا هو (بك) قوة مائتى فدان . . . ! أما الأفندى فظهر من الفحص الهندسى الاجتماعى أنه (أفندى) قوة خمسة عشر جنيها فى الشهر . . !

وخَنَسَ الأفندى وتَراجَع مُنْخَزِلاً ، وقد علم أن (الباشا) إنما زوّج لقبَه قبل أن يزوج ابنته ، وأنه هو لن يملك مهرَ هذا اللقب إلا إذا ملك أن يُبدّلَ أسباب التاريخ الاجتماعى فى الأمم الضعيفة ، فينقلَ إلى العقل أو النفس ما جعلته « أمم الأكل والشرب » من حق المعدة ، فلا يكون (باشا) إلا مخترعٌ شرقىٌ مُفلِس ، أو أديبُ عظيمٌ فقير ، أو مَن جرى هذا المجرَى فى سموّ المعنى لا فى سموّ المال

وقدّمت بمائتَىِ الفدانِ مهرها «الطّينىّ» العظيم بما تعبيرُهُ فى اللغة الطينيّة : ثمنُ عشرين ثوراً ، ومثلِها جاموساً ، ومثلِها بغالاً وأحمِرة ، وفوقها مائةُ قنطارٍ قطناً ، ومائة أردبٍ قمحاً ، ثم ذرةً ، ثم شعيراً . والمجموعُ الطينيُّ لذلك ألفُ جنيه ، وعزّى الباشا أنه مستطيعٌ أن يقول للناس : إنها خمسة آلاف ، اختزلتها الأزمة قبحَها الله . . . !

ثم زُفّت « بنت الباشا » زِفافاً طينياً بهذا المعنى أيضاً ، كان تعبيرُهُ : أنه أُنفق عليه ثمنُ ألفِ قنطارٍ بصلاً ، ومائة غرارةٍ من السَّماد الكيماوى ، كأنما فُرِش بها الطريق . . . !

وطفق الباشا يُفاخر ويتمدّحُ ، ويَتبذَّخُ على الأفندى وأمثالِ الأفندى بالطين ومعانى الطين ؛ فردّت الأقدار كلامَه عليه ، وجعلت مَرْجِعَه فى قلبه ، وهيّأتْ لبنت الباشا معيشة « طينية » بمعنىً غيرِ ذلك المعنى . . .

***

ومات الطفل ؛ فردّت هذه النكبةُ بنتَ الباشا إلى معانى انفرادِها بنفسها قبل الزواج ، وزادتها على انفرادها الحزنَ والألمَ ؛ وألقت الأقدارُ بذلك فى أيامها ولياليها الترابَ والطين

(١) هذه ألقاب وضعتها الدولة العثمانية البائدة . فأفسدت الناس بكبرياء الألفاظ الفارغة ، وقد أرادت بها رفع الأعلى ، فانتهى أمرها إلى سقوط الأعلى والأسفل

وبلّج الحزنُ ببنت الباشا فجعلت لاترى إلا القبر ولا تتمنى إلا القبر ، تلحق فيه بولدها ؛ فوضعت الأقدار من ذلك فى روحها معنى الطين والتراب

وأسقم الهمُّ بنتَ الباشا وأذابها ؛ فنقلت الأقدار إلى لحمها عملَ الطين ، فى تحليله الأجسامَ وإذابتها تحت البِلَى

***

وكان وراء قصرها «حِواء»(١) يأوى اليه قوم من « طين الناس » بنسائهم وعيالهم ، وفيهم رجل « زبّال » له ثلاثة أولاد ، يراهم أعظمَ مفاخره وأجمل آثاره ، ولايزال يرفع صوته متمدِّحاً بهم ، ويخترع لذلك أسباباً كثيرة لكى يسمعه جيرانه كل ليلة مُفاخراً ، مرة بأحمد ، ومرة بحَسن ، ومرة بعَلى . وأعجبُ أمرِه أنه يرى أولاده هؤلاء متممِّين فى الطبيعـة لأولاد « الباشوات » . . . وهو يحبهم حبَّ الحيوان المفترس لصغاره ؛ يرى الأسدُ أشبالَه هم صنعة قوّته ، فلا يزال يحوطُهم ويتممَّهم ويرعاهم ، حتى إنه ليقاتل الوجودَ من أجلهم ؛ إذ يشعر بالفطرة الصادقة أنه هو وجودهم ، وأن الطبيعة وهبت له منهم مسرّاتِ قلبه ، ذلك القلبِ الذى انحصرت مسرّاته فى النسل وحده ، فصار الشعورُ بالنسل عنده هو الحبَّ الى نهاية الحب . وكذلك الزبّال الأسد(٢)

ومن سخرية القدر أن زبّالنا هذا لم يسكن الحِواء إلا فى تلك الليلة التى جلست فيها بنت الباشا على ماوصفنا ، وفى ضلوعها قلب يُفتِّتُ من كبدها ، ويُمزِّق من أحشائها

وبينا تُناجى نفسها وتَعجَب من سخرية الأقدار بالباشـا والبك ، وتَستَحمِقُ أباها فيما أقدم عليه من نبذ كُفْئِها لعجزه عن مهرِ باشا ، وإيثارِ هذا المهر الطينيّ ، وتباهيه به أمام الناس ، واندرائه بالطّعن على من ليس له لقب من ألقاب الطين — بينا

كذلك إذا بالزبال ، كانسِ التراب والطين يهتف فى جوف الليل ويتغنى :

يالِيل ، يالِيل ، يالِيـل ما تِنْجِلِى يالِيـل

***

القلب أهُو راضِى لكْ حَمدى يا ربى
مِنِ الهمومْ فاضِى إفرحْ لى يا قلبى

يا دُوبْ كِدا يا دُوبْ زَىِّ الحمامْ عايِشْ
ما يِمْتلِكْ غِيرْ تُوبْ طُولْ عمرُه فيه نافِشْ . . .
ياليل ، ياليل ، يالِيـل ما تِنْجِلِى يا لِيـل

***

إن قلت أنا فَرْحانْ دا مِينْ يِكدِّبْنِى
وأكْتَرْ مِنِ السلطانْ فرحانْ أنا بابْنِى
بِينِ السيوف يا ناسْ لَمِ انْكَسَرْ سيفى
وابْنِ الغِنَى محتاسْ وانا على كيفى . . . .
ياليل ، ياليل ، ياليـل ماتِنْجِلِى يا ليـل

***

وابْنِ الغِنَى فِ هُمُومْ والخالى خالى البالْ
والفَقْرْ ما بِيْدُومْ وتْدُومْ هموم المالْ

يا طِيرْ يا طِيرْ ، يا طِير الحُرّ فُوقِ اللّومْ
والخيرْ . ، جميع الخير لُقمَه ، وعافْيَه ، ونُومْ
ياليل ، ياليل ، ياليـل ما تِنْجِلِى يا لِيـل

***

ولم تختر الأقدارُ إلا زبالا تُرْسِلُ فى لسانه سخريتها بذلك الباشا وبنت ذلك الباشا . . . !

وكسْرُ قلبٍ بكسرِ قلبٍ وحَطْمُ نَفْسٍ بحطمِ نفسِ
ورُبَّ عِزٍ تراه أمسى كُناسةً هُيِّئَتْ لِكَنْسِ . . . !

(طنطا) **مصطفى صادق الرافعى**

---

(١) الحواء : جماعة من البيوت كهذه العشش التى يسكنها الصعايدة فى بعض الاحياء

(٢) هذا الزبال شخصية حقيقية ، لو قلنا بمذهب الرجعة لكان « أرسطو » رجع زبالا ليتم فلسفته . والكاتب يعرف الرجل ويبره أحياناً ، وكان حضرته قد طلب الينا أن نصنع له (موالا) يتغنى به فى (أوقات الصفاء) فوضعنا له الاغنية التى يراها القارىء بعد وهو يصدح بها فى لياليه . وسنفرد لزبالنا هذا مقالا خاصاً ان شاء الله

فردريش شيلر

بمناسبة احتفال ألمانيا بذكراه

للأستاذ محمد عبد الله عنان



منذ عامين احتفلت ألمانيا بذكرى شاعرها الأكبر «جيته» لمناسبة مرور قرن على وفاته ؛ وتحتفل ألمانيا اليوم بذكرى شاعرها الثانى « شيلر » لمناسبة مرور مائة وخمسة وسبعين عاماً على مولده . واذا كانت حياة الخالدين تمثل دائماً فى الأذهان المستنيرة ، فان الأحتفاء بهذه الذكريات يضاعف الاهتمام بسيرهم وآثارهم . ومن ثم فانا نلتمس هذه المناسبة لنأتى على ترجمة الشاعر العظيم

كانت حياة شيلر صفحة مؤثرة من ذلك الكفاح الذى يضطر الى خوضه أصحاب المثل الأعلى حتى يفوزوا بمثلهم أو يزهقوا دونها ؛ وقد أنفق حداثته وشبابه فى خوض هذه الغمار ، حتى اذا اكتملت له أسباب الفوز والطمأنينة ، غادر هذه الحياة شاباً فى إبان ظفره ، وذروة خصبه ، وروعة شاعريته ؛ وكان مولده فى العاشر من نوفمبر سنة ١٧٥٩ فى مدينة مارباخ الواقعة على نهر نكر فى أسرة رقيقة الحال ؛ وكان أبوه يوهان كاسبار جراحاً مساعداً فى الجيش ، استقر فى مارباخ بعد عوده من الحرب وتزوج اليزابيث كودڤايس ، وهى ابنة صاحب فندق ؛ فرزق منها أولاً بابنة تدعى اليزابيث ؛ ثم كان مولد الشاعر ، ثم ابنة أخرى تدعى لويزا . ونشأ الطفل فريدريش أو فرتز (شيلر) ضعيف البنية ، كثير الحياء والوجل ، وتلقى دروسه الأولى فى مدرسة لورش ؛ ثم انتقلت الأسرة الى مدينة لودفجبورج حيث نقل الأب ، وكانت يومئذ مقام دوق ڤرتمبورج ؛ وهنالك التحق شيلر « بالمدرسة اللاتينية » ، وبدأ دراسة الأدب واللاتينية ، وقرأ هوراس وأوڤيد وڤرجيل ؛ وكان لأستاذه القس موزر أثر كبير فى تكوينه . وفى سنة ١٧٧٣ دخل شيلر «أكاديمية كارل» التى أسسها الدوق فى شتوتجارت ، ودرس الحقوق أولاً ثم الطب والتاريخ ، وأظهر تفوقاً فى اليونانية واللاتينية ؛ بيد أنه لم يكن ميالاً الى هذا النوع من الدراسة ، وكان شغوفاً بالأدب ، تهجس به فى أوقات فراغه شاعرية قوية ؛ وكان يكثر من قراءة هومير وڤرجيل وكلوبشتوك شاعر ألمانيا فى هذا العصر ، ويتأثر بتفكيره أيما تأثير . وفى ذلك الحين ظهرت قطعتان مسرحيتان قويتان هما : « أوجولينو » لجرستنبرج ، و «جتزفون برلخنجن» لجيته ؛ فتأثر شيلر بقراءتهما واتجه ذهنه الى المسرح ؛ وكتب بعض القصائد والمناظر المسرحية الأولى ، ولكنه مزقها ، ثم بدأ بكتابة روايته المسرحية الأولى : Die Raüber « قطاع الطريق » . وفى سنة ١٧٧٩ أتم دراسته وحصل على أجازته ، وسنحت له بهذه المناسبة أول فرصة لرؤية الشاعر العظيم الذى ملأ صيته ألمانيا يومئذ ، ونعنى «جيته» ؛ فقد وفد مع دوق ڤيمار على شتوتجارت فى فاتحة سنة ١٧٨٠ ليشهدا احتفال الأكاديمية بتوزيع الأجازات . وكان شيلر يومئذ فتى فى عشرينه ، يحمل أجازة الطب والجراحة ، ولكن هوى الشعر يحمله ويملأ جوانحه . وكان يتوق الى التعرف بزعيم الشعر وإمامه ؛ ولم يكن يحلم أنه سيغدو فى أعوام قلائل قرينه وزميله الأوفى . ولم يهتم جيته فى هذا اللقاء الأول بأمر الشاعر الحدث الذى لم يسمع به أحد بعد ، ولكن نجم الشاعر الحدث كان على وشك البزوغ . ذلك أنه ما كاد يعين على أثر تخرجه طبيباً فى حامية شتوتجارت بمرتب يسير ، حتى عكف على إتمام درامته « قطاع الطريق » ، ولكنه لم يلق ناشراً

يقوم بطبعها ، فاقترض نفقات الطبع من بعض أصدقائه وظهرت القصة سنة ١٧٨١ غفلاً من اسم مؤلفها ؛ وهي قطعة مسرحية عنيفة تحمل طابع البداية ، وفيها يصور شيلر كثيراً من عواصف حداثته . ومثلت « قطاع الطريق » عقب صدورها في شتوتجارت ، ثم مثلت في العام التالي في مانهايم ؛ وأحدث ظهورها وتمثيلها ضجة كبيرة . ولكن شيلر لم يؤخذ بهذا النجاح الجزئي . وكانت وظيفته العسكرية تثقل على نفسه ، فاعتزم مغادرة شتوتجارت خفية الى أفق أوسع ، وفي اكتوبر سنة ١٧٨٢ غادرها مع صديق موسيقي يدعى شترايشر الى مدينة مانهايم . وكان يحمل معه مخطوط درامة جديدة هي Fiesco «فيسكو» فعرضها على مدير مسرح يدعى (دالبرج) فأعجب بها ومثلت بنجاح ، وكتب في الأشهر التالية Kabale und Liebe « المؤامرة والحب» ومثلت أيضاً . وكلتاهما قرينة « قطاع الطريق » في طابعها العنيف وحماستها الساذجة . بيد أنه رأى المسرح لم يحقق أمله ، ولم تسعفه موارد القطع التمثيلية ، فاضطر أن يبحث للعيش عن وسيلة أخرى ، ولكن في دائرة الأدب أيضاً ، فأسدر مجلة أدبية نقدية اسمها « تاليا » Thalia وظهر العدد الأول منها في مارس سنة ١٧٨٥ وفيه قسم من درامته الجديدة « دون كارلوس » ولكنها لم تستقبل بحماسة . وفي ذلك الحين جاء دوق ڤيمار الى « دار منشتات » لزيارة صهره « اللاند جراف » وكان شيلر قد سمع كثيراً عن نبله ورفيع خلاله وتعضيده للآداب والفنون ، فسار لرؤيته مزوداً ببعض خطابات التوصية ، فاستقبله الدوق بعطف ، وأذن له أن يتلو بين يديه الفصل الأول من « دون كارلوس » ، فاستحسنه وشجع المؤلف بكلمات طيبة ، واستأذنه شيلر في أن يهديه قصته فأذن له ، وأنعم عليه بلقب « مستشار » في خدمته ، وهو لقب لم تكن له سوى قيمة أدبية واجتماعية

وكان شيلر يومئذ فتى في الخامسة والعشرين يضطرم أملاً نحو العلياء والمجد ؛ وكان يقضي حياة عاصفة في الدرس والتفكير والكتابة ؛ وكان قلبه الكبير يخفق أحياناً للحب ؛ ولكن في اعتدال ورزانة . ولم تحمل شيلر نحو النساء تلك النوبات الغرامية العاصفة التي كانت تملأ حياة جيته ؛ ولكنه عرف الحب في تلك الفترة ؛ وتعلق بادىء بدء بفتاة تدعى مرجريت شفان ، وهي ابنة كتبي في مانهايم ؛ وكانت فتاة ساحرة لعوباً خطرة الأهواء ؛ وفكر شيلر في الاقتران بها ولكن أباها رفض في رقة وأدب لأنه لم يأنس في الشاعر بلا ريب مستقبلاً يحمل على الطمأنينة . ثم تعرف شيلر بعد ذلك بفتاة تدعى شارلوت دوستايم ، وشغفت هي به حباً ؛ ولكنها لم تلبث أن اقترنت بضابط يدعى « فون كالب » ؛ وانتقلت معه الى ڤيمار ؛ واستحال حب الشاعر ومدام فون كالب بعد ذلك الى صداقة حميمة استمرت مدى الحياة

وأنفق شيلر في مانهايم زهاء عامين ونصف عام ، وهو يشهد آماله تنهار تباعاً ، وموارد العيش تضيق به . وأخيراً اعتزم أن يغادر مانهايم ، وأن يهجر تلك المهنة التي لم تؤته قوته — مهنة القريض ؛ وأن يلتمس العيش من مهنة أخرى مستبقياً للشعر أوقات فراغه ؛ فغادر مانهايم بعد وداع ممزق لصديقه الحميم شترايشر ؛ وقصد الى قرية جوليس بالقرب من لايبزج حيث كان يقيم صديقه العزيز « كرنر » وكان كرنر ذهناً رفيعاً وقلباً كبيراً ، ألفى فيه الشاعر مثل الصداقة الأعلى ؛ فأقام الى جانبه مدى حين في جوليس ثم في درسدن ، وأتم في تلك الفترة قصته « دون كارلوس » (سنة ١٧٨٦) . وكان ظهورها ظفراً حقيقياً للشاعر ، وكانت في الواقع بداية مجده ، وحداً فاصلاً بين ماضيه الغامر ومستقبله الباهر . وكانت مدينة ڤيمار يومئذ كعبة الشعر ومقام إمامه جيته ، وفيها يجتمع حول الشاعر الأكبر جمهرة من الشعراء والأدباء مثل هردر ، وڤيلاند ، وماير ، ويظللهم دوق ڤيمار جميعاً برعايته ؛ وكان شيلر يفكر منذ حين في السفر الى ڤيمار ليجرب حظه في ذلك المحيط الأدبي الزاهر ؛ وكانت صديقته الحميمة مدام فون كالب تقيم هنالك منذ حين ؛ وكان ڤيلاند يدعوه فوق ذلك للاشتراك معه في تحرير مجلته « مركور » ؛ فقصد الى ڤيمار في أغسطس سنة ١٧٨٧ ، وقلبه مفعم بالآمال الكبيرة ؛ فاستقبله الدوق بفتور ، ولكن مدام فون كالب استقبلته بعطف مؤثر ؛ ورحب به ڤيلاند الشاعر أيما ترحيب ، واشترك معه في تحرير مجلته ؛ واشترك أيضاً في تحرير مجلة أخرى في « يينا » وترك مجلته الخاصة ؛ واستمر يعاون ڤيلاند مدى عامين ، ثم ترك التحرير معه ، ولكنه لبث صديقه الحميم

وفي سنة ١٧٨٨ ، أقام شيلر حيناً في قرية « فولكشتات »

الهادئة ، وهنالك أتم قصته « الهائم » ، وتاريخ « ثورة الأراضى السفلى » الذى بدأه من قبـــل Geschichte des Abfalls der Vereingten Niederlande

فى ذلك الحين كان جيته فى إيطاليا يطوف ربوعها ؛ ثم عاد من رحلته فى سبتمبر . وكان شيلر يرقب مقدمه ليراه ويتعرف به . وسنحت له هذه الفرصة ؛ واجتمع بالشاعر الأكبر وصديقته مدام دى شتاين وهردر فى منزل أسرة لنجفلد التى صاهرها شيلر فيما بعد . وهنالك رأى شيلر ذلك الرجل الذى بلغ ذرى المجد ، والذى رآه من قبل لأول مرة فى حفلة توزيع الأجازات عام تخرجه من المدرسة ؛ وكان شيلر يعلق على هذه المقابلة آمالاً كبيرة ؛ ولكن جيته استقبله بفتور ظاهر ، ولم يكن قد لفت نظره إلى ذلك الحين . وكانت صدمة مؤلمة لشيلر ؛ فكتب إلى صديقه كرنر يصف أثر هذا اللقاء فى نفسه : « يلوح لى من كل الظروف أن الفكرة السامية التى لدى عن جيته لم يزعزعها هذا التعارف الشخصى ؛ بيد أنى أشك أننا نستطيع أن نتقارب بأى وجه . إن قسماً عظيماً مما يزال يشغلنى ، ومما زلت أؤمل قد انتهى وقته لديه ، والواقع أن كل شخصة يميل إلى ناحية غير التى أميل إليها ، وبين وجهات نظرنا اختلاف جوهرى . وعلى أى حال فلسنا نستطيع أن نستخلص من هذه المقابلة شيئاً مؤكداً أو ثابتاً . وسوف يعلمنا الزمن ما تبقى » . ولما عاد شيلر إلى ڤيمار من مقامه المنعزل لم يحاول كثيراً أن يرى جيته . بيد أن فتور جيته نحوه لم يدم طويلاً فقد رأى فى قصيدته « آلهة اليونان » جمالاً يلفت النظر ؛ ويعترف شيلر من جهة أخرى بأنه كان من ذلك الحين يخشى نقد جيته ، وأنه كان متأثراً بتلك العاطفة حينما وضع قصيدته « الفنانون » وتأنق فى صياغتها

على أن الذى لاريب فيه هو أن لقاء الشاعرين — جيته وشيلر — كان من أعظم حوادث حياتهما إن لم يكن أعظمها جميعاً . وسرعان ماتحول ذلك الفتور الذى أبداه الشاعر الأكبر نحو زميله الفتى إلى حب وإعجاب خالصين ، ولم تمض أعوام قلائل حتى توثقت بينهما أواصر صداقة عميقة ؛ ولم يمنع تنافسهما النبيل فى آفاق الشعر أن تبقى هذه الصداقة إلى الأبد ، مقرونة بالوفاء الخالص والاعجاب المتبادل ، وأن تغدو صفحة خالدة فى تاريخ التعاون الأدبى . كان شيلر رجل المثل العليا ، وفيلسوفاً ذا آراء ونظريات خاصة فى الحياة . ولكن جيته كان رجل الحقيقة ، يعرض ما فى الطبيعة ويصوره كما يراه ؛ وكان شيلر شاعر « الدرامة » وكان جيته شاعر الخيال والفروسية ؛ ولكن كلا منهما كان جندياً عظيماً لبناء الآداب الرفيعة وتحطيم الآداب المبتذلة ؛ وكلاهما قائد عظيم لحركة « العاصفة والدفع » Sturm und Drang التى كانت ظاهرة التفكير والآداب الألمانية فى أواخر القرن الثامن عشر ، والتى كانت ترمى إلى تحطيم القديم وتجديد كل شىء ؛ وكان لهذه الصداقة الحميمة ، وهذا التعاون الأدبى الوثيق بين الشاعرين الكبيرين أثره فى نفس جيته وفى نظمه ، يبدو ظاهراً فى « أغانيه » Bailaden ، وفى قصة « هرمان ودروتيا » ، وغيرها مما أخرج فى هذا العهد



صورة تاريخية تمثل الشاعر (الى اليسار) وأمامه جيتى (الى اليمين)

وفى سنة ١٨٩ عين شيلر أستاذاً للتاريخ بجامعة يينا بمعاونة صديقه وأستاذه جيته ، وفى العام التالى اقترن بالآنسة لنجفلد التى تعرف بها وبأسرتها قبل ذلك بأشهر قلائل ؛ وبذلك استقرت حياته ، وعاش فى نوع من الصفاء والرغد ؛ وانكب فى هذه الفترة على دراسة التاريخ ؛ وألف كتابه عن « حرب الثلاثين » Gescbichte des Dreissigjarige Kriegs ؛ وأصدر مجلة أدبية فلسفية بعنوان « الساعات » Die Horen ، كانت نموذجاً بديعاً

للتفكير الرفيع ، وفيها كان يكتب أئمة العصر : جيته ، وهردر وكانت ، وشختة ، ومابر ، وانجل ، وجاكوبى وغيرهم ؛ وكان لها أثر عظيم فى سير الثقافة الألمانية والتفكير الألمانى فى ذلك العصر . وكان شيلر من أنصار الثورة الفرنسية التى كانت تضطرم فى ذلك الحين ، وظهر ذلك العطف فى كثير من كتاباته وقصائده حتى أن «المؤتمر الوطنى» الفرنسى منحه لقب «مواطن فرنسى». وفى تلك الفترة أيضاً أخرج شيلر درامته القوية « فالنشتاين » Wallenstein (١٧٩٩) ، واستمر فى تدريس التاريخ فى يينا حتى سنة ١٨٠٠ ، ثم استقال من منصبه ، وعاد فاستقر فى ڤيمار إلى جانب جيته ؛ وهنالك أخرج عدة قطع جديدة : ماريا ستوارت ؛ وعذراء أورليان Jugfrau von Orleans ، وعروس مسينى Braut von Messina ؛ فكان لصدورها جميعاً دوى عظيم ؛ وكانت جميعاً من أبدع ما كتب

واستقر شيلر فى ڤيمار نهائياً ، ولم يغادرها إلا ليزور برلين زيارة قصيرة ليشرف هنالك على إخراج بعض قطعه . وكانت ڤيمار يومئذ كعبة الأدب الرفيع ، يجتمع فيها حول إمامى الشعر ، جيته وشيلر ، صفوة من أقطاب الشعر والأدب ؛ وكانت صداقة جيته وشيلر أبدع وأروع مظاهر هذا المجتمع الأدبى الباهر . وفى سنة ١٨٠٤ كتب شيلر درامته « ولهلم تل » Wilhelm Tell ، فكانت أعظم قصصه وأروعها . والمعروف أنه استقى موضوعها من صديقه جيته ، وكان جيته قد زار سويسرا قبل ذلك بقليل ودرس هنالك تاريخ تل بطل سويسرا القومى ، وزار الأمكنة التى تقول الأسطورة إنها كانت ميادين بطولته ، لينتفع بذلك الدرس فى قصة يعتزم كتابتها عن تل . ولكنه لما عاد الى ڤيمار نبذ الفكرة ، وأعطى مواد دراسته الى شيلر لينتفع بها هو ؛ فاستقى منها موضوع قصته «ولهلم تل» ، فجاءت أبدع ما كتب ، وأثارت من جيته أعظم إعجاب . بيد أنها كانت أيضاً آخر ما أخرج شيلر . ذلك أنه مرض فى أوائل سنة ١٨٠٥ ، ومرض أيضاً جيته فى الوقت نفسه ؛ واشتدت عليهما وطأة المرض ، حتى صرح جيته بأنه يشعر بدنو أجله ، وأن أحدهما لابد ذاهب . ولكن الذى توفى هو شيلر . توفى فى الثامن من شهر مايو ، فى الخامسة والأربعين فقط ، فوقع موته فى ڤيمار وقع الصاعقة ، وارتدت ثوب الحداد مدى حين . وتلقى جيته نبأ الفاجعة وهو فى فراش مرضه ، فبعثت الى نفسه أعما حزن ، وسمع ليلا وهو يبكى أحر بكاء . وكتب يومئذ الى أحد أصدقائه مشيراً الى فقد شيلر : « لقد فقدت نصف حياتى » ، وغلب عليه الحزن حيناً فأضرب عن العمل والكتابة ؛ والى ذلك يشير بقوله : « إن مذكراتى فى هذه الفترة صحف بيضاء . والصحف البيضاء عنوان الفراغ فى حياتى . ولم يك ثمة شىء يستهوينى فى تلك الأيام »

وهكذا مات شيلر فى إبان مجده وذروة شاعريته ، ولم ينعم بالحياة الناعمة المستقرة إلا ردحاً قليلاً ؛ فكانت حياته كلها صفحة كفاح مستمر ؛ بيد أنه خرج من هذا الكفاح ظافراً متسماً بميسم المجد والخلود . ولم يكن شيلر شاعراً مبدعاً فقط ، ولكنه كان فيلسوفاً عظيماً ، وفناناً كبيراً ، ومؤرخاً بارعا ؛ وكان يؤمن بالثقافة كوسيلة لرفع الانسانية الى ذرى القوة والعظمة ، ويرى أن الفن ليس ترفا لذوى الفراغ والجدة ، وليس لهواً يستمرئه الخامل ، ولكنه قوة عظيمة ذات أغراض جدية وإن كانت وسائله شائقة سارة ، وإنه قرين الدين يعاون على تنظيم هذا العالم . وكان ذهنا ثائراً جريئاً جلداً يمجد بالحرية ، ويمقت كل صنوف الاستعباد ؛ وكان قلباً رقيقاً يفيض حساً وانسانية ؛ خبيراً بأسرار الطبائع والنزعات البشرية ؛ وكان مؤرخاً بارعاً ينفذ إلى أسرار التاريخ ، ويستوعبها بقوة ودقة ؛ وهذه النزعة التاريخية الناقدة تبدو فى كثير من قطعه المسرحية . ولو مد فى حياة شيلر ، كامد فى حياة صديقه جيته ، لظفرت منه الآداب الألمانية بأضعاف ما ظفرت ؛ وكان على الأرجح ينازع جيته إمارته فى الشعر الألمانى ، بيد أنه مع ذلك يتبوأ إلى جانبه المقام الأول فى عالم المجد والخلود ؟

محمد عبد الله عنان
المحامى

آلام فرتر
للشاعر الفيلسوف جوته الألمانى
ترجمها الاستاذ احمد حسن الزيات
ثمنها ١٥ قرشاً

٧ - الشخصية

للأستاذ محمد عطية الابراشي
المفتش بوزارة المعارف

وسائل تقوية الشخصية العملية :

قلنا فيما مضى إن الشخصية نوعان : عملية وفكرية ، وذكرنا شيئاً عن الشخصية العملية ، واليوم نتكلم عن الوسائل التي تقويها فنقول :

هناك وسائل لتقوية الشخصية العملية نذكر منها ما يأتي :

(١) **تحديد الغرض ومعرفة الطريق الموصل :**

إن تحديد الغرض في أي عمل من الأعمال مع معرفة السبيل الموصلة إلى ذلك الغرض من أهم الوسائل المشجعة للانسان على الاجتهاد في العمل والسير فيه إلى النهاية من غير تردد ، وبخاصة إذا صحب العمل بإرادة قوية ، وثقة به . فمعرفة الغرض لها أثر كبير في نفوسنا ، سواء أكان ذلك الغرض عادياً أم عظيماً . وإن نظرة واحدة إلى العالم تبين لنا أن لكل إنسان غرضاً يسعى ليدركه مهما اختلفت هذه الأغراض . ولكن المهم أن يكون الغرض محدوداً سامياً

كلٌّ له غرض يسعى ليدركه والحر يجعل إدراك العلا غرضا

فالصياد يقف على شاطيء البحر وعصاه في يده ينتظر بصبر عظيم وملاحظة دائمة ، أملاً في اصطياد السمك وما فيه من لذة وإرضاء للنفس ، وسائق السيارة يسير في طريقه مهما لاقى فيها من مطر أو ثلج أو ضباب أو غبار رغبةً في الوصول الى مكان معين ، وقبطان الباخرة العظيمة في البحر الخضم يقود باخرته في طريق معينة نحو ميناء أو موانٍ معينة في جهات خاصة . وهنا يتمثل تحديد الغرض ، ومعرفة الطريق الصالحة ، والتأكد منها ، والثقة بها . وإذا تمثلت هذه الأحوال العقلية في الشخصية الانسانية كانت من أعظم القوى العملية في العالم . فينبغي أن يكون للشخص غرض معين من العمل يسعى ليدركه ويحققه بكل ما أوتي من عزيمة وقوة ومثابرة وثقة بالنفس ؛ حتى ينتفع بقواه العقلية . قال « وردسورث » شاعر الطبيعة من الانجليز عن الأفراد الذين يسيرون في الحياة نحو أغراض معينة : « إن اجتهادهم ناشيء عن وازع نفسي ينير الطريق أمامهم دائماً ؛ فيقدرون جمال الطبيعة ، ويعملون بما يعلمون ، ويثابرون على التعلم . »

وبعد الوصول الى الغرض الأول أو المرحلة الأولى من الحياة يمكن التفكير في مرحلة أخرى وتحديدها والعمل للوصول إليها وهكذا الى نهاية الحياة . قال عمر بن عبد العزيز « : إن لي نفساً تواقة لم تزل تتوق الى الإمارة ، فلما نلتها تاقت الى الخلافة ، فلما نلتها تاقت الى الجنة » . وقيل : « ذو الهمة إن حط فنفسه تأبى إلا علواً ، كالشعلة من النار يضربها صاحبها ، وتأبى إلا ارتفاعاً »

(٢) **الرغبة في العمل :**

بعد تحديد الغرض من العمل يجب أن تكون هناك رغبة فيه وميل اليه ؛ لأن الرغبة :

(ا) ترفع من شأن العمل الذي نقوم به .

(ب) تؤدي الى الإقدام والنشاط وهما القوة الطبيعية للشخصية ، وتكون كوازع نفسي أو باعث داخلي يستنهض همتنا ويستحثنا على العناية بالعمل

(ح) تمدنا بالقوة التنفيذية ، والارادة الحق الضرورية للوصول الى أغراضنا

فالرغبة هي الدافع الطبيعي للانسان نحو العمل مهما لاقى في سبيل ذلك العمل من متاعب ومصاعب . والرغبة الحق هي تلك القوة الروحية التي توحي الى الشخص بالقيام بالشيء بهمة لا تعرف الكلل ولا تقف دونها أي عقبة . فاذا وجدت الرغبة ثم وجدت الارادة ، سهل الطريق مهما كان شاقاً ، والحاجة تفتق الحيلة . فاذا رغبت في معرفة صناعة غزل القطن ونسجه كان الذهاب الى معمل الغزل والنسج أحب الأشياء إليك ، وأخذت تشعر بأنه يجب أن تعرف كل شيء يتعلق بالقطن وأنواعه ، وأين يزرع ، وكيف يزرع ، وكيف تتقى آفاته السماوية ، وما الأحوال الجوية التي يتطلبها ، وكيف يجنى ، وكيف يوضع في الغرائر ، وكيف يخزن ، وكيف يرسل الى السفن ، وكيف يحلج ، وكيف يغزل ، وكيف ينسج

وكذلك القول فى رغبة (ابراهام لنكولن) فى تحرير العبيد يوم ذهب مع بعض العمال الى السوق، فوجد جارية تباع وتشترى فتألم لبيع الانسانية وشرائها الألم كله، فتمنى أن لو أعطى سلطة حتى يضرب على الأسترقاق بيد من حديد، فأعطى الفرصة بعد زهاء ثلاثين عاماً بانتخابه رئيساً لجمهورية الولايات المتحدة بأمريكا فكان من أوائل أعماله العمل على تحرير العبيد. وقد أدى ذلك الى حرب داخلية، ولكن النصر كان أخيراً فى جانبه، وبذلك يعتبر محرراً للعبيد، مدافعاً عن الانسانية المظلومة

وإن شدة الرغبة فى الاصلاح الاجتماعى هى التى جعلت «شارلز ديكنز» أكبر كاتب ومصلح اجتماعى بانجلترا فى القرن التاسع عشر. وإن الرغبة فى شراء أسهم قناة السويس بعد التأكد من فائدتها هى التى خلدت ذكرى «دزرائيلى» بين الانجليز، وجعلته يعمل بكل ما أوتى من قوة على تنفيذ الشراء مع شدة ما لقى من معارضة فى مجلس الأمة، ومن معارضة مدير مصرف انجلترا، وإن الرغبة فى أعمال الآلات هى التى جعلت «أديسون» أكبر مخترع فى القرن العشرين، والأمثلة كثيرة لا حصر لها

فبغير الرغبة لا يستطيع الانسان أن يقوم بعمل عظيم فى الحياة. فاذا أردت القيام بعمل من الأعمال — سواء أكان ذلك العمل دينياً، أم اجتماعياً، أم أدبياً، أم علمياً، أم فنياً، أم حربياً — فأوجد الرغبة الصادقة وهى كفيلة بالتنفيذ والنجاح فى ذلك العمل

والرغبة نوعان: مباشرة وغير مباشرة؛ فالمؤلف الذى يؤلف كتاباً، أو يكتب مقالة لصحيفة يومية، يجب أن يكون تأليفه وكتابته عن رغبة حقيقية إذا أراد أن يكون لعمله قيمة علمية أو أدبية، فالرغبة فى العمل هى الشرط الأساسى للتقدم والنجاح فيه. ولكن هل الرغبة وحدها تكفى للنجاح؟ الحق أنها لا تكفى، بل ينبغى أن يكون هناك بعض التشجيع الأدبى أو المادى؛ لأن المؤلف أو الكاتب قد لا يكتب حباً فى الكتابة فحسب، بل قد يكتب ليعيش، أو ليحصل على ضروريات الحياة أو كمالياتها. فهو ينتظر تشجيعاً، ويجب أن يشجع بتقدير عمله وإعطائه ما يستحق. وحينما توجد الرغبة المباشرة الطبيعية فى العمل، ثم تصحب برغبة أخرى غير مباشرة كالربح المادى أو المركز الأدبى فاننا لا نتردد فى أن نقول: إن النشاط يتضاعف والاجتهاد يستمر والعمل يزداد حسناً، ودواعى النجاح تكون أقوى وأشد، لأن الرغبة متوفرة من كلتا الناحيتين المباشرة وغير المباشرة

ولا ننكر أن المثل الأعلى هو أن نعمل حباً فى العمل، ونؤدى الواجب رغبة فى أداء الواجب، ونقوم بالشىء من غير أن ننتظر جزاءً أو شكوراً. ولكن من حيث أن الانسان إنسان فهو يفكر دائماً فى النتيجة، وفيما يعود عليه من المنفعة والمكافأة على العمل، وهذه المكافأة نوع من التقدير يشجعه على العمل، ويدفعه الى أدائه كما ينبغى وكما يجب أن يكون، وكلما كانت المكافأة قيمة زادت الرغبة فيها وكثر التلهف عليها والعمل على نيلها. ومعظم الأعمال التى نقوم بها يومياً من قبيل الأعمال التى نؤجر عليها. ويجب أن نصرح بأنه لولا الأجور والمرتبات التى يتقاضاها العمال والموظفون ما قام أحد منهم بعمل قيم

ولا تكفى الرغبة غير المباشرة — كالرغبة فى الأجر — للنجاح فى العمل واكتساب شخصية قوية، بل لابد أن تصحب برغبة طبيعية وميل حقيقى نحو العمل نفسه، وإلا كان مكروها لدى النفس، تبغضه وتنتظر بفارغ الصبر التخلص منه، كما هو حال العامل الذى لا يجد لذة فى عمله، فيترقب انتهاء اليوم ومجىء ميعاد الانصراف بكل صبر، ونحن لا نبغى إلا عملاً مصحوباً بلذة ورغبة وسرور، حتى ننجح فى ذلك العمل ونجيده ونجد شوقاً الى العودة اليه، ونظهر فيه تفوقاً ومهارة. ومن الصعب أن تنبغ فى عمل غير محبوب لديك.

يتبع 	**محمد عطيه الابراشى**

مجموعات الرسالة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٣٥ عدا أجرة البريد

ثمن مجموعة السنة الثانية (المجلد الأول) ٣٥ عدا أجرة البريد

وثمن كل منهما خارج القطر ٥٠

ليلة في مضارب النور

للأستاذ عبد الحليم عباس

في سهول حوران التي ليس للأفق في فسيحها حد، وقف الليل يصغي لهذه الفتاة النورية تعبر عن شجو شعب لفظته الحياة، فلفظها وفي صدره غصة، وفي قلبه جرح لا يلتئم

غنت ورقصت كالطير الذبيح

وكانت أغانيها صدى لهذه الغربة الطويلة

من بدء الخليقة زموا رحيلاً، يفتشون لهم عن وطن، كادوا يبلغون حد الأفق، ولما يجدوا مبتغاهم، كل شبر فيها ممتلك، وراء الأفق... وراء الأفق، علَّ لكم به داراً

والتمعت الكواكب، فكأنها قلوب تجف، أو عيون تذرف فاطلعت إليها، وكأنما اذكرت أوطاناً مجهولة، وأحباباً خلفتهم عند مطلع الشمس، فاندفعت تغني ما أثقل معناه، وكان غناؤها في هذه النوبة بالغاً في أساه، مشجياً في تعابيره، يحمل في ثناياه ريح الكبد المحروق. قالت:

«إيه ياليل الشجن، ليت جوانبك الفسيحة تطوى، وآفاقك المترامية تتضام على نفسها، فاذا هي في مدى النظر دار وأيكة، نجلس فيها مع الحبيب، لا يفزعنا النوى ولا تطوح بنا المقادير

إيه ياليل الشجي: ظننا الغربة يوماً وليلة، ما علمناها العمر كله، فمتى تكون الرجعة، ومتى نلتقي والأحبة

إيه ياليالي، خلفناهم شباباً فبعد عشرين عاماً كيف آضت لممهم السود المعطرة، وشفاههم الريانة بخمر الحياة؟ كيف أضحت وجناتهم الناعمة؟ هل جعدها النوى وغضنتها السنون؟ وقاماتهم المنتصبة كالغصن الرطيب، أظنها انحنت تحت ثقل العمر والشجون... ليتني صخرة صماء مشدودة إلى هاتيك الربوع التي أحببت فيها حبيباً لم يغدر ولكن غدرت بنا الحياة

إيه فتاتي! أوصيك ألا تلقي السمع لكلمات الحب تند عن أفواه الشباب الجميلة، ما برح مكتوب على شعبك النوري جوب الأرض، وذرع هذه الفلوات. فموت القلب بالخلو من الحب، أخف من احتراقه في جحيم الذكريات

إغمضي عينيك عن الهوى، عن النعمة الكبرى، فلو كنا أهلاً لها، لبرئنا على غير هذه الشاكلة...»

إلى هنا وكأنما طغت موجة الحزن في نفسها، وكأنما فتحت لها الأنشودة عالماً من الذكريات الشجية فجلست مجهودة لاغبة

***

وكنا في مضاربهم أربعة، كلنا يفهم الحياة على غير الوجه الذي يفهمها عليه الآخر، فمنا من يطلب فيها اللذة، ومنا من لا يبالي بلذتها وألمها، ومنا من لا يرى فيها متسعاً للذة، ومنا من يجدف عليها في الصباح، ويهزأ بها عند المساء، وفي الليل يدب إلى لذائذها يعصرها حتى لا يدع فيها بقية؛ ونحن وإن اختلفنا فيها كثيراً نلتقي على شعور بعينه، وهو الحس بألم الغير، والرثاء لآلام الناس

فكان من هذا أن هزنا شعور طيب، هو مواساة هؤلاء المناكيد فكففنا عن طلب الغناء. وساجلهم الحديث منا فتى لبق. قال وهو يوجه كلامه إلى هذه التي غنت وجلست هامدة، كأنما ذابت روحها مع أغانيها:

— ألك إخوة ياعزيزتي؟

— نعم، ثلاثة، واحد دفنته في الصين، وآخر واريته في طيبة، والثالث على قيد الحياة

— كلنا سنموت، فكيف رأيت هذه الديار؟

— هي دياركم أنتم، أما دارنا، فهذا البيت الممزق، وظهر هذا البهيم

قال وهو يحب أن يمزج الجد بالدعابة ليخفف هذا الألم الطافح ويستل هذا الحزن المستعصي:

— ليست الأرض ملكاً لأحد، أما سمعت قول الأديب الأكبر، أهون علي أن أتصور الانسان ملكاً للجبل، ولا أتصور الجبل ملكه. ملكه كيف؟ أيستطيع أن يحمله؟

— لا أفهم ما تعني

— ستفهمين، أجمل ما على أديم الأرض هذه الزهور الناجمة تميس بقاماتها، وأجمل ما فيها هذا العطر يفوح، فهل يملك عطر الزهرة؟ هل تحجب وجنة السماء عن أعين الرائين؟ أبهج ما في الحياة ملك الجميع، وما بقي فأقوات وفضلات يشترك الانسان فيها مع أدنى المخلوقات

— صحيح هذا، ولكن هذه أشياء ليس لنا منها أدنى

فائدة ، أنا كل الكواكبُ ؟ أم نقتات بهذا الذى تنشره الزهرة ؟

فبهت صاحبنا

فنبهناه إلى غلطته ، وإلى أن هذه التى يخاطبها أضيقُ عقلاً وأسف إدراكاً من أن تفهم مجالى الفن الرفيع

فلم ييأس ، وعاد يفهمها ، ويأتى باللفظ القريب إلى عقليتها ، يقول : إنها لاتقيت ، ولكنّ فيها شيئاً أثمن من القوت ، وهل خُلِق الانسانُ لِملء بطنه فحسب . . . هل أحببت ؟

فكأنها خجلت من هذا السؤال الثائر ، فرمت برأسها الى الأرض ، فعاد يلحُّ عليها بالاجابة

— نعم ، أحببت ، والنَّوَرُ شعبٌ لا يخجلُ من المصارحة بمثل هذه الأحاديث

— وهل فى الحب لذة ؟

— نعم يا افندى

— أيهما أكبر لذة ، الحب أم القوتُ ؟

— الحب يا افندى . . .

— إذن فى الدنيا أشياء كثيرة أثمن من القوت أفهمتِ ؟

— نعم

— وهذه الأشياء يتساوى فيها الغنىّ والفقير ، والأمير والحقير ، بل إن حظَّ الصعاليك ليربو فى بعض الأحايين على حظوظ ذوى الجاه العريض والمنازل الرفيعة

فصمتت ، وكأنها تفكر وتزوِرُ حديثاً ، وبعد حين قالت : والغربة ، هل يستقيم معها نعيم ؟ انظر ها نحن أولاء نقيمُ هنا بعضاً من أشهر الصيف ، فاذا جاء الشتاء بقره ، اضطررنا الى النزوح كارهين ، فنحن نقضى العمر كلَّه رحيلاً ، ولو شئت لقلت حنيناً ، نحنُّ الى هذه المرابع ، وغداً نحنُّ الى غيرها إذا أنسنا بها ، وهكذا نقضى العمر بالذكريات الموجعة ، والحنين الذى يُقطع نياط القلوب

قال : اسمعى ، ليس على ظهر هذا السهل — سهل حوارن — الممتد شمالاً حتى أذيال الشام ، المنفسح غرباً الى سفوح هذه الجبال التى شاقها منظر سماء عجلون ، فنهضت اليها بغابات الصنوبر ، وملتف أشجار السنديان والبلوط ؛ لتقبل وجنتها . . . وليتك تريْنها فى الصباح ، والضباب يلفها فى مثل غلائل العروس وهى تجاهد بنسيمها المنعش ، ونداها العطر لترى السماء ، فتمزق الردن تارة ، وتشقق البنائق أخرى ، وهى فى كُلِّ ذلك آية فى السحر والجمال والجلال . . أقول ليس على هذا السهل أخلدُ حياة ، وأكبر فؤاداً وإحساساً من صديقكم شاعر الواد[1]

— أعرفتيه ؟

— نعم ، فهو يزورنا فى غالب لياليه ، ويبقى حتى مطلع الفجر . .

— هذا الشاعر الضائع يا فتاتى ، هو فى هذا السهل أضيعُ منكم غربة ، يُذيب كبده فى لحنه ، وتسيلُ روحه على قوافيه . . . ولا من يسمع

— كيف ! ؟ انه لايحضر إلا ومعه لفيفٌ من صحبه وخلطائه ، فكيف يكون غريباً فى دياره وبين أحبابه ؟

— هو غريبٌ ووحيد ، يأتيكم ليأتنس بكم ، هو غريبٌ لأنه لا يجدُ صدىً لروحه ، وليست تُقاس الغربة ببعد الشقة والنأى عن الوطن ، وإنما تقاس بما بين الأرواح والأرواح من تفاوت وتقارب ؛ كم من ضجيعين على مهاد واحد بينهما من البعد ما بين ذاك النجم وهذا الوتد

فهزت النورية رأسها فعل الحائر الذى لم يفهم

وكنا ضِقنا بصاحبنا ذرْعاً ، وأسمعناه من قوارص اللوم والاستخفاف بفلسفته التى جاء يُلقيها فى مضارب النَّوَر شيئاً كثيراً ، وكأنه تعب . . فلم يعمل فى هذه المرة على إفهامها . . . فقلنا له متندرين مالك ؟ عُدْ الى وصل قولتك ، وشرح فلسفتك

قال : أطلتم اللوم ، لقد نلنا مبتغانا ، أما كان عزمنا أن نذهب بشئ من ألم هذه الفتاة ، فها هى الابتسامة تسيل على شفتها ، وشفاه عدة من قومها ، قلنا : غلطتَ يا أستاذ ، فما هى ابتسامة الصفو ، وإنما هى ابتسامة الاستخفاف بك ، والهزء من أقوالك

— ليكن ، فما يضيرنى أن أكون ساعة موضع سخرية النَّور . .

* * *

وطلعت علينا الشرطة ، فخفقت قلوبهم ، فراحوا يُلممون أنفسهم ، ويلقون علينا نظرات الرجاء أن نكفيهم شرَّ هذا البلاء ، فكُنَّا عند حسن ظنهم

(١) هو السيد مصطفى وهبى التل ، من أشعر شباب الأردن ، ومن أعرق شعراء العرب فى البوهيمية ، صادق النور ، وله فيهم قصائد هى آية فى الجودة ، وهو ينوى الآن مزاملتهم فى رحلاتهم الفصية

وقمنا الى السيارة ، ولما تبوأنا مقاعدنا جاءت النورية وهمست فى أذن صاحبها

— أيوجد مثلنا أناس يذوقون حرّ سياط الجنود الغلاظ الأكبد ؟ وهل يساوينا أحدٌ فى هذه النعمة ؟

— نعم يا فتاتى ، ليست هى على ظهوركم بأشد نكاية وألما وأثقل وطأة منها على ظهور الأحرار

— ومن هم الأحرار ؟؟

لا أدرى ، أخشى سياطهم إن تفوهت ، وتلمس جنبه كأنما أحس بألمها ، هم ، هم صف . . . وة رجال الو . . . طن ، فى كل أمة ، سلى عنهم مصر ..! وضاع الصوت فى لجب هذه الرعناء ؟!

شرق الأردن **عبد الحليم عباس**

حول مقال الشخصية

جاء فى عدد (٦٨) من مجلة الرسالة الغراء فى مقال الأستاذ محمد عطيه الابراشى عن الشخصية بعض الأخطاء من الوجهة العلمية : فقد قال الأستاذ :

(٢) « والغدد النكفية وهى غدد صغيرة أسفل العنق ولها صلة بالذكاء ، فاذا كانت قوية الافراز كان الشخص ذكياً وبالعكس . »

ومن المعلوم أن الغدد النكفية هى الغدد التى بجوار الأذن وليست بأسفل العنق ، وتسمى بالانجليزية « Parotid » وليس لها أى دخل فى الذكاء ، بل كل إفرازها يصب فى الفم بواسطة قناة يقرب طولها من الثلاثة سنتيمترات ، ووظيفة إفراز هاتين الغدتين كما دلت كل التجارب هى تحويل النشويات « Cabobydiate » إلى « ملتوز » «Maltose» ولها وظيفة ثانية هى المساعدة على ازدراد الطعام وتليينه وليس لها غير هاتين الوظيفتين

أما قوله بأنها غدد صغيرة فى أسفل العنق فأظنه قد أراد الـ Parathyroid وهذه الغدد أيضاً ليس لها تأثير كما هو ثابت على الذكاء بل تأثيرها على « الكلسيوم » الموجود بالدم ومن ثم على العظام نفسها ، ولهذه الغدد وظيفة أخرى خاصة بالأعصاب ، إذ لو قطعت هذه الغدد لأصبح تأثر العضلات سريعاً ولاشتدت قوة انقباضها ، وليس لها غير ذلك كما ثبت بالتجارب وقد يكون لها ، لكن العلم لم يقل كلمته بعد

وقد سمى حضرته الـ Thyroid بغدة تفاحة آدم ، وأظن أن من المستحسن إطلاق الاسم العربى المتداول وهو الغدة الدرقية فهو أسهل وأقصر

محمد رضوان
بكلية الطب

بين فنى التاريخ وفن الحرب

٧ — خالد بن الوليد *

فى حروب الردة

للفريق طه باشا الهاشمى

رئيس أركان الجيش العراقى

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى بدنى شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعير ! فلا نامت أعين الجبناء »

خالد بن الوليد

معركة بزاخة :

يقول ابن الكلبى إن بزاخة ماء لبنى أسد ، ولم يوضح لنا ياقوت هذا المحل فى معجمه ، والذى يلوح لنا أنه فى جنوبى فيد فى وادى الغمير على الطريق الذى يصل فيد بالبريدة . فالأرض فيه سهلة وهى صالحة للقتال

ولعل المعركة وقعت فى نهاية ايلول « سبتمبر » أو فى نهاية تشرين الأول « أكتوبر » إذ مضى على حركة خالد من ذى القصة ما يقارب الخمسة عشر يوماً ، وبعد أن أمن خالد جانب طئ واستنجد بهم تقدم رأساً نحو بزاخة يريد طليحة

وتقدمت أمامه قوة استطلاع بقيادة عكاشة بن محصن وثابت ابن أقرم ، وتدل الأخبار على أن المرتدين باغتوا هذه القوة وقتلوا قائديها ، وكانا من فرسان المسلمين المشهورين ، وكان جيش طليحة متأهباً للقتال يقود بنى أسد سلمة أخو طليحة ، ويقود فزارة عيينة ابن حصن ومعه سبعمائة فارس من فزارة

ومن الروايات ما يدل على أن خالداً وقف بالغمير قبل شروعه فى القتال ، وإن كانت الرواية التى يرويها الطبرى نقلاً عن سيف لا تذكر ذلك بوضوح ، وخلاصة الرواية أن أحد المسلمين أخذ رجلاً من بنى أسد فأتى به خالداً ، وكان الرجل عالماً بأمر طليحة فسأله خالد عما يعلمه عن طليحة

(*) وهو بحث فنى قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل . « الرسالة »

وموقع الغمير رابية تشرف على مياه بزاخة واسمه فى الخريطة جبل الغمير ومنه ينصب وادى الغمير

ولعل خالداً أرسل قوة الاستطلاع من هذا الموقع ليستكشف قوة العدو وموضعه وجيش المسلمين فى موضع مسيطر . ولعل عكاشة وثابتاً قتلا لما كانا يقومان بالاستطلاع فقتلتهما الطليعة التى أوفدها طليحة بقيادة أخيه سلمة فنصب كميناً لقوة الاستطلاع وباغتها ، ولما اطلع المسلمون على مقتل عكاشة وثابت هالهم الأمر

ومن الروايات ما يشير الى أن خالداً لم يزورّ عن طريقه كما تقدم من ذى القصة الى بزاخة إلا بعد ما رأى الجزع المستولى على أصحابه عند مقتل عكاشة وثابت فمال بهم الى حى طئ وقال لهم « هل لكم الى أن أميل بكم الى حى من أحياء العرب كثير عددهم شديدة شوكتهم . . . الخ »

ولعل هذه الروايات ذكرت لتسويغ ازورار جيش خالد عن طريقه نحو بلاد طئ على ما أثبتناه فيما تقدم ، إذ لا يعقل أن يصيب المسلمين الجزع بمجرد أن يقتل منهم فارسان ، والروايات ذاتها تذكر قتل عكاشة وثابت بيد طليحة وأخيه سلمة بمعنى أن القتال وقع بالقرب من بزاخة فيكون من الصعب أن يدير خالد ظهره ويترك عدوه ويتوجه نحو بلاد طئ بينما كان أهلها مترددين

والواضح من هذه الروايات أن خالداً قدر الموقف قبل مسيره من ذى القصة

القتال

رتب خالد جيشه فى خط القتال وجعل الأنصار والمهاجرين فى الميسرة ورجال القبائل فى الميمنة ، ولعل أهل طئ كانوا فى القلب مع بعض القبائل

أما جيش طليحة فكان عيينة بن حصن مع سبعمائة فارس من فزارة فى الصف الأول ، وكان طليحة بن خويلد فى القلب يشرف على القتال ، وفى أطرافه أربعون فتى من بنى أسد استماتوا فى الدفاع عنه . وكانت راية بنى أسد حمراء رآها المسلمون من بعيد

وتدل الأخبار على أن القتال بدئ بهجوم الفريقين أحدهما على الآخر ، فكان عيينة بن حصن يقود الفرسان ، أما حبال وسلمة أخوا طليحة فكانا يقودان المجنبتين من جيش الأعداء

ويذكر الواقدى نقلاً عن رجل من هوازن حضر قتال بزاخة أن المسلمين فازوا بالمعركة بفضل البطولة التى أبداها خالد ابن الوليد

ويقول الراوى إن ميمنة المسلمين ارتدت على أعقابها لما هاجمها الأعداء فأثر ذلك فى الميسرة فانسحبت بدورها ، فتدارك الأمر خالد بحملته على الأعداء وندائه يا أنصار الله ! الله ! فجمس هذا النداء المتراجعين وكروا على الأعداء ملتفين حول خالد فتقاتل الفريقان بالسيوف ، فترجل خالد عن ظهر جواده وحارب راجلاً ، ولما رأى أصحابه أن الخطر محدق به التمسوا منه أن يترك خط القتال ويقف فى الوراء ويقود الجيش إلا أنه امتنع عن ذلك . وفى رواية أخرى للكلبى أن المسلمين لما تراجعوا أتى رجل من طئ خالداً وكلفه بالاعتصام بجبلى سلمى وأجأ ، إلا أن خالداً رد طلبه قائلاً إنه يعتصم بالله

وبقى طليحة فى القلب الى أن قتل فتيانه جميعاً فانسحب الى الوراء والتف بكسائه يتحين الفرص . ولما ضاقت الدنيا بعيينة بن حصن سأل طليحة هل جاء الوحى ؟ وهذا يقول له لا فيرجع يقاتل ، وفى الكرة الثالثة قال طليحة لعيينة إن الوحى يقول له : « إن لك رحى كرحاه وحديثاً لا تنساه » فتأكد عيينة أن الدائرة تدور عليه ، فنادى يا بنى فزارة انصرفوا فهذا والله كذاب . فانصرفوا وانهزم الناس

أما طليحة فأعد فرسه وهيأ بعيراً لامرأته فوثب على فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها ، ولما سأله قومه ماذا يأمر ، قال « من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله فليفعل »

وقع عيينة أسيراً بيد خالد فكبله بالحديد وأرسله مخفوراً الى المدينة

وكان المرتدون قد تركوا عيالهم خلفهم فى محل أمين لكى لا يسبيهم المسلمون ، لأن العرف كان يقضى فى ذلك الزمان بسبى النساء واتخاذهن إماء ، ولم تنته المعركة حتى عاد الكثير من بنى أسد وفزارة إلى خالد وجددوا إسلامهم خشية على الذرارى

واغتنم المسلمون غنائم كثيرة فى معسكر الأعداء من جمال وحمير وسلاح وغير ذلك . لم يكتف خالد بهذه الغنائم بل أوفد السرايا إلى جهات مختلفة لطاردة المنهزمين والتقت بهم فى جبل

رمان فى جنوب جبل سلمى وفى الأبانين على جانبى وادى الرمة وهما رابيتا أبان الأسود فى شمالى الوادى وأبان الأبيض فى جنوبه وأسرت كثيرين منهم وصادرت خيلهم وسلاحهم

ولما نشب القتال بين المسلمين والمرتدين فى بزاخة كان بنو عامر بن صعصعة على الحدود يراقبون مجرى القتال وينتظرون العاقبة

وبعد أن انتهى خالد من أمر بنى أسد وفزارة عرج على حى طئ ومكث بين أكناف سلمى وأجأ ، ولعله أراد بذلك أن يقرب من حى بنى عامر وينهى أمرهم . هذه القبائل كانت فى الأرض الواقعة الى شمال شرق بلاد طئ بين الدهناء وجبل شمر

فأوفد بنو عامر وغطفان وفودهم إليه وجددوا إسلامهم . بيد أن خالداً لم يكتف بذلك بل فرض عليهم جانباً كبيراً من السلاح جزاء ترددهم كما أنه جمع سلاحا من بنى أسد أيضاً

وكان للسلاح شأن كبير فى هذه الحروب ، وكان المسلمون بحاجة اليه ليجهزوا به الجيوش ، وسبق أن أغنياء الصحابة فى عهد الرسول كانوا يجهزون المقاتلين للغزوات

واحتفظ خالد بهذا السلاح ووزعه بعد ذلك على رجال القبائل الذين أسرعوا إلى الأنضمام الى جيشه كما وثقوا بالنصر

القتال فى ظفر :

تدل الأخبار على أن خالداً لم يمهل الشاردين بل إنه لما علم أن أم زمل سلمى جمعتهم حولها فى ظفر وشجعتهم على المقاومة توجه فوراً نحوها فقاتلها قتالاً شديداً وهى واقفة على جمل أمها أم قرفة تحمسهم على القتال ، وقد اجتمع على الجمل جمع من فرسان المسلمين فعقروه وقتلوها وقتل حول جملها كما تذكر الرواية مائة رجل . وكان قيام أم زمل وتشجيعها للناس على قتال المسلمين طلباً للثأر

المطاردة :

ورب منتقد يعتب على خالد إهماله المطاردة بعد انتصاره فى بزاخة إذ كان فى وسعه أن يطارد الأعداء ولا يمهلهم للمقاومة مرة أخرى ، إلا أن العتاب ليس فى محله ، لأن القتال فى البادية مع القبائل لا يشبه القتال فى الحواضر ، فالقبائل بعد أن تغلب تنهزم الى جهات مختلفة بعد أن تترك حيها وتلجأ الى الأحياء القريبة وتستنجد بها ولا تقصد هدفاً ترمى اليه . وكان خالد مضطراً الى البقاء فى بزاخة ليقبل إسلام المرتدين ويعاقب من مثل بالمسلمين منهم عملاً بوصايا أبى بكر

وكان خالد قبل ذلك أوفد السرايا الى أنحاء مختلفة ليقضى على المتشردين فقاتلهم فى جبل رمان على حدود طئ ، وقاتلهم فى الأبانين على حدود بنى سلم ، وقاتلهم فى النقرة على حدود بنى تميم فكل ذلك يدل على أن خالداً استثمر نصر بزاخة ولم يمهل المنهزمين بل طاردهم بكل شدة

يقع موقع ظفر كما يذكر ياقوت الحموى بالقرب من حوأب ، وهذا على الطريق بين البصرة والمدينة . كانت عائشة قد تشاءمت من نباح كلابه لما رحلت من المدينة الى البصرة للأشتراك فى وقعة الجمل . ولعل موقع ظفر يبعد عن بزاخة مسافة مرحلتين وهو الى شرقى كهفه . فالفلول الشاردة من بزاخة التجأت اليه ، وكانت أم زمل تحرضهم على الاجتماع فيه لمقابلة خالد . فالمسافة بين بزاخة وظفر يجب أن تكون بعيدة بدرجة أنها تساعد الفلول على الاجتماع مرة أخرى للقتال

تقدم مسير خالد نحو البطاح لقتال بنى تميم

البطاح : — لانعلم بالضبط المدة التى قضاها خالد فى حى بنى أسد بعد أن انتصر على طليحة فى بزاخة . والمؤكد أن خالداً استثمر فوز بزاخة فقام بمطاردة فلول الجيش المنهزم ، ولما سمع أن بعض الفلول اجتمع فى ظفر تحت راية أم زمل تقدم بجيشه اليهم وهزمهم شر هزيمة كما أشرنا الى ذلك فيما تقدم

والظاهر من ذلك أن خالداً قضى أكثر من شهر فى حى بنى أسد على أقل تقدير ، ولما استتب له الأمر فى نجد وتأكد معونة طئ ودان له بنو عامر وبنو صعصعة انتهز الفرصة ليتقدم نحو بنى تميم

وكان بنو تميم من أقوى القبائل العربية لكثرة عددها وخصب أرضها وشدة بأسها . وتنقسم هذه القبيلة الى أربعة أقسام :

القسم الأول — الرباب وهم من شعب ضبة وعبد مناف

القسم الثانى — عوف والأبناء ومقاعس وبطون وهم من شعب سعد بن زيد مناة

القسم الثالث — بهدى وخضم وهم من شعب بن عمرو

القسم الرابع — حنظلة ويربوع وهم من شعب بني مالك

وكان الزبرقان بن بدر يترأس رباب وعوفاً والأبناء ، وقيس ابن عاصم يترأس مقاعس والبطون ، وصفوان بن صفوان يترأس بطن بهدى ، وسبرة بن عمرو يترأس بطن خضم ، ووكيع بن مالك يترأس بني حنظلة ، أما مالك بن نويرة فيترأس بني يربوع وهم فرقة من بني حنظلة

وكان بنو يربوع يسكنون أرض الحزن غربي الدهناء ، أما بنو حنظلة فيسكنون الدهناء والصمان ، وأرض الصمان فى شرق الدهناء والحزن والصمان كلاهما ذو مراع خصبة يضرب بها المثل

وكان من حسن حظ المسلمين أن هذه الشعب والبطون لم تكن متصافية فيما بينها ، ويظهر أن الخصومة كانت متأصلة فيها من قبل الأسلام . فصفوان وسبرة متفقان ، أما قيس بن عاصم فخصم للزبرقان

وكان الزبرقان وصفوان يميلان الى المسلمين وينتظران المعونة منهم ليتفوقا على خصومهما . أما قيس بن عاصم فكان متردداً . وأما وكيع بن مالك ومالك بن نويرة فتظاهرا بالعداء للمسلمين ، وكان العداء متأصلاً فى نفوس الرؤساء لدرجة أن البطون والشعب كانت تتقاتل

ولما ظهرت سجاح اشتد هذا العداء ، وادعت سجاح النبوة فى بنى تغلب فى أرض الجزيرة بين دجلة والفرات ، وهى ترتبط ببنى يربوع برابطة القرابة ، فجمعت حولها جموعاً من بنى تغلب وبنى نمر وبنى اياد وبني شيبان ، وتقدمت بهم الى بلاد بني تميم ، ويدل مجرى الوقائع على أنها ادعت النبوة قبل وفاة الرسول

ماذا كانت تقصد سجاح بمسيرها جنوباً نحو بلاد تميم ؟ هل أرادت أن تمهد السبل لتأسيس مملكة بين العراق ونجد تضم فيها قبائل بنى تغلب والبعض من بطون بكر وبنى تميم ؟ أو أنها أرادت الهجوم على المدينة كما روى سيف بن عمر ؟ ثم هل شرعت فى المسير قبل وفاة الرسول أو إن وفاته شجعتها على المسير ؟ هذه أسئلة تصعب الاجابة عنها بصورة جازمة . والذى يلوح لنا أنها لم تكن تقصد لاهذا ولاذاك ، ولعلها برزت بالكهانة وأحسنت السجع فالتف حولها الناس ، وأرادت أن تستغل نفوذها فسارت برجالها ، وكلما مشت كثر أتباعها حتى أدى بها المسير الى الدخول فى أرض بنى تميم . ومع ذلك فمن المحقق أنها بدخولها ديار بنى تميم أرادت أن تستفيد من القرابة التى تربطها بهم . وهذه القرابة غير واضحة ، ومن الرواة من يزعم أنها تميمية من بني يربوع وأخوالها من بنى تغلب ، ومنهم من يدعى أنها تغلبية وبنو يربوع أخوالها . والواضح من أخبار الرواة أنها دخلت بلاد بنى تميم بعد وفاة الرسول : وكان دخولها مما زاد الشحناء بين رؤساء بنى تميم فأراد كل منهم أن يستغلها لمصلحته ، والغريب فى أمر بنى تميم أنهم لم يخضعوا لرئيس واحد أسوة بالقبائل الأخرى ، فكان لبنى أسد رئيس ولبنى حنيفة رئيس ولغطفان رئيس وهلم جرا

يتبع

ط الهاشمى

أهم كتاب فى اللغة العربية

القاموس المحيط

لمجد الدين الفيروزابادى

لايستغنى عنه عالم ولامتعلم ، يعين على حل المشكلات وفهم المعضلات

فى أربعة أجزاء ضخام . طبع جميل ، على ورق صقيل ؛ ويطلب من المطبعة المصرية تليفون ٥١٧٠٤ وثمنه خمسون قرشاً صاغاً خالصاً أجرة البريد . بادر بطلبك الآن قبل ارتفاع السعر أو نفاد النسخ ، ويوجد منه ورق عادى بخمسة وثلاثين قرشاً

في الأدب الدرامي

١٣ - الرواية المسرحية

في التاريخ والفن

بقلم أحمد حسن الزيات

الدرامة في خلال القرون

كان لهذا النوع أوائل في أدب الأغريق واللاتين ظهرت في أشكال مختلفة وأسماء متعددة ، وظلت محافظة على وجودها أثناء العصور الوسيطة وبعد عصر النهضة في ثوب الرواية الجدية الهزلية ، ولكن الدرامة بمعناها الحديث لم تعرف إلا في القرن الثامن عشر حين كتب (لاشوسيه) مدرسة الأمهات ، و(ديدرو) رواية الابن الطبيعي ، و (سيدين) رواية الفيلسوف بغير علمه ، و (بومارشيه) رواية الأم المجرمة ، و (ڤولتير) روايتي نانين والطفل المبذر . وقد كان هؤلاء المؤلفون يقتبسون موضوعات رواياتهم من الحياة الحضرية والمعيشة المنزلية ، ويملأونها بالحساسة المتصنعة والآراء الفلسفية والحكم الخلقية في لهجة تارة تكون بكائية وتارة تكون خطابية . على أن هذه الدرامة لم تلبث أن نزلت الى مكان المأساة العامية (الميلودرام) ، وهي درامة تسير بالموسيقى وتفيض بالضربات المسرحية المنيفة ، والمواقف الشديدة المخيفة ، والعمل الروائي المعقد ، وتدين بنجاحها الى إثارة الشعور وإهاجة الوجدان . ثم أدرك الدرامة الخمول وأخلقها الترك فامحت من المسارح حوالي سنة ١٨٣٠ حتى جاء أرباب المذهب الابتداعي فنفخوا فيها من روحهم وبعثوها الى الحياة في شكل جديد ، واختاروها ميداناً للمعركة الحاسمة بينهم وبين رجال المذهب الاتباعي ، فرفع هوجو لواءها وشرع منهاجها في مقدمة كرومويل سنة ١٨٢٧ وجعل ميزتها الظاهرة امتزاج الجد والترفع بالهزل والمجون على نحو ما تجد في روايات شكسبير . ثم أخذ هذا المذهب الحديث يتحلل من قواعد المذهب القديم ، ولا سيما قانون الوحدات الثلاث كما ترى ذلك ظاهراً في روايات الزعيم كهرناني وكرومويل وماريون دلورم وروي بلاس وبيرجراف الخ . على أن سهم الابتداعيين قد طاش ، وأملهم في اصلاح المسرح قد كذب . فقد تجد في روايات هوجو درراً من الشعر الرصين ، وغرراً من المقطوعات البليغة ، وصوراً من المواقف التي تسترق الشعور وتملك القلب ، ولكنك تجد بجانب ذلك البناءَ الواهنَ والاحالة القبيحة والعمل المرتبك والتاريخ المشوه ، فضلا عن أنه أحل الطباق والمقابلة محل النظر والملاحظة ، وملأ المسرح بالانماط الغريبة من الناس كقاطع الطريق الشهم (هرناني) ، والخادم الوزير (روي بلاس) ؛ ولم يجد في طبقة السراة إلا أنماطاً ممقوتين أو مجرمين ، أما الطبقة السفلى فهي عنده مستودع العواطف الكريمة والأخلاق القويمة . ثم إن الدرامة الابتداعية (Romantique) خلت خلو الميلودرام من درس العواطف وتحليل الأخلاق ، وتعدت حدود المنطق في سير العمل ، وسترت كل ذلك بسيل من الحوادث الخارقة ، والمسائل المعقدة ، والمفاجآت المدهشة ، وما يتخلل ذلك من المبارزة والقتل والتسميم والخطف والتعرف . لذلك لم يصطبر الناس على هذه الدرامة طويلا فملوها وأغفلوها ، وحلت محلها في المسارح والقلوب في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر الملهاة الاجتماعية ، أو الملهاة الحديثة ، أو الملهاة المبكية ، أو الدرامة الواقعية . وهي في الحقيقة طور من أطوار الدرامة التي بدأها (ديدرو) ورفع سمكها إسكندر دوماس الصغير ، وأميل أوجييه وڤيكتوريان ساردو . تستمد من الدرامة التاريخية عناصر الجد ، ومن ملهاة (اسكريب) فن التعقيد ، ومن قصة بلزاك درس العادات وتحليل الأخلاق ، وتدور موضوعاتها على بحث المسائل المتعلقة بالمال والأسرة ، وما ينجم من صراع الطبقات ، وصدام الجماعات ؛ وتعني على الأخص بوصف العادات والسعي في تهذيبها وإصلاحها . وكان لاسكندر دوماس الفضل في تطبيق المذهب الواقعي على هذه الملهاة أو الدرامة بتأليفه ذات الكاميليا (La damc anx camelias) وهي درامة جريئة الفكرة ، طريفة البحث ، جديدة الشكل ، أحدثت في المسرح انقلاباً خطيراً كان له أثره ونتيجته حتى اليوم . لأن المؤلف كان أول من زين المسرح بالأثاث الجديد ، وأظهر الأشخاص في اللباس العصري ، ومثل البيئة الحاضرة في شكلها الحقيقي ، فهو خلق الملهاة الحديثة (La comedie modernee) كما خلق من قبلها الملهاة العلمية (Piece à thése) وهي مبنية على نظرية سماها المسرح النافع

(Le rhèatre utile) ملخصها أن الكاتب المسرحى يجب أن يبادر الى حل المشاكل الأجتماعية على المسرح وإلا كان مضحكاً مهرجاً . يجب أن يعرض على الناس ما يشغلهم من مشاكل الأسرة ، ويثقلهم من أحوال المجتمع ، ثم يناقش هذه المسائل ، ويحل هذه المشاكل بتغليب الخير على الشر ، وإقرار الحب فى النفوس مقر المال

وظل المسرح اليوم فى فرنسا جارياً على سننه المشروع فى منتصف القرن التاسع عشر فى شىء من البساطة والسهولة . وأشهر الملاهى الدرامية فى العهد الأخير ما كتبه الأستاذ جول لمتر إما تحليلاً للعواطف (كالثائرة) و (الغفران) ، وإما زراية على ذميم العادات (كالنائب ليڤو) . وكذلك الأستاذ هنرى لاڤادان عنى بدراسة المجتمع الفرنسى الحديث ، وعرض لما ينجم عن المنافسة بين طبقاته من المشاكل المعضلة والمسائل العويصة فى رواية (أمير أوريك) . ثم المنطق الجبار بول هرڤيو فقد عالج المشاكل الاجتماعية التى تتولد من الزواج والطلاق ، ونحا فى بحثها منحى اسكندر دوماس الصغير فى رواياته العلمية (Piece à thése) ولكنه كان أكثر منه بساطة وأشد جفاء . كتب فى ذلك ملاهيه المشهورة ، وهى التيه (Le dédale) ، والكلبتان (الكماشة) (Les tenailles) ، وقانون الرجل (La loi de l'homme) ، واعرف نفسك (Connais-toi) ، وشوط القبس (La course du flameau) ولا تزال هذه الرواية الى اليوم أبلغ روائعه وواسطة بدائعه . ثم الأستاذ (بريو) مؤلف القباء الأحمر (La Robe rouge) ، والأستاذ فرنسوا كوريل مؤلف الدمية الجديدة ، ونشوة الحكيم والأستاذ (الفريد كابو) مؤلف الحظ (La veine) والطير الجريح ، والأستاذ (هنرى برنستين) مؤلف السارق ، والسر ، وشمشون . ولا نريد أن نسترسل فى ذكر أسماء الكتاب المعاصرين ، فأكثرهم لايزالون يؤلفون ويرزقون . وإنما ذكرنا منهم من سبق لنقول لك إن ما ألفوه قد يطلق عليه أحياناً اسم الدرامة ، وأحياناً اسم الملهاة الدرامية (Comédie dramatique) أو الجدية ، والأسم الثانى أدق لما ذكرناه من الفرق بين النوعين

هذا مجمل ما أتى على الدرامة من الأطوار فى فرنسا . أما فى أسبانيا فالمسرح قومى محض ، ولد فى الكنيسة وظل على صفته الأمية حتى جاء عصر النهضة ، فجنح بعض الكتاب الى بناء المسرح الأسبانى على الطراز الأغريقى ، ولكن ذوق الجمهور أحالهم عن ذلك القصد وصرفهم عن محاكاة المأساة الأتباعية (Classique) فسخروا من قانون الوحدات الثلاث . وجمعوا فى الرواية الواحدة بين الحوادث المضحكة والمواقف المفزعة ، وبين سراة الطبقة العليا وصعاليك الطبقة الدنيا . ثم كانوا يعقدون العمل ويفخمون الأسلوب ، حتى سرت من روحهم نفحة الى كورنى ، وكان الشرف محور مآسيهم ، وموضوع حوادثهم ، ومكان قوانينه الصارمة منها مكان القدَر من مآسى الأغريق . على هذه القواعد والصفات كتب نابغتهم الخالد لوب دى ڤيجا Lope de Véga (١٥٦٢ — ١٦٣٥) مآسيه ، وهى لا تقل عن ألفى مأساة ، يدخل منها فى باب الدرامة الروايات التاريخية (ككشف العالم الجديد) وروايات (سان سَكْر مَنْت) كوارث السماء . وقد تميز هذا الكاتب بالخيال الخصب ، والقريحة المتقدة ، والتنوع البديع ، والقدرة المعجزة على تصوير الأخلاق ، ولا سيما أخلاق النساء . وكان همه أن يعرض الحوادث دون أن يشرح أسبابها ، ويمثل الحياة الحقيقية دون أن يطرز أثوابها . ثم يليه فى النبوغ والأثر (كالدرون دى لاباركا) (١٦٠٠ — ١٦٨٠) . وقد بقى من دراماته اثنتان وسبعون درامة أشهرها (الحياة حلم) و (كرامة الولى) . وأما فى انجلترا فقد ولد مسرحها فى الكنيسة أثناء العصور الوسيطة كما كان الأمر فى فرنسا وأسبانيا ، وكذلك لم يقو تقليد الكتاب والشعراء لآداب النهضة على الحيلولة بين الدرامة الحديثة وبين الانتشار والتقدم . ففى القرن السادس عشر جاء (مارلو) فهز النفوس وحرك المشاعر بمآسيه (ادوار الثانى) و (يهودى مالطة) و (وموت الدكتور فوست وحياته) . ولكن شكسبير ظهر فأخفت ذكره ووضع قدره . وكان القدماء من أرباب المذهب الاتباعى يذكرون شكسبير بالسوء ، ويتناولونه بالنقد حتى لقبه ڤولتير : (بالمتوحش السكران) . أما أرباب المذهب الابتداعى فيرونه مثال الفن الروائى ، ورسول الشعر التمثيلى . وقد سردنا لك فيما سبق طائفة من مآسيه فى بعضها ما يشبه الدرامة ، ولكن دراماته الحقيقية هى : صاع بصاع ، وتاجر البندقية ؛ وقطعه المقتبسة من تاريخ انجلترا ، كالملك حنا ، وريشار الثانى ، وهنرى الرابع ، وهنرى الخامس ، وريشار الثالث ،

ودرامات شكسبير[١] على الجملة ضعيفة البناء ، بعيدة الأمكان ، متكلفة الأسلوب . وقد أراد أن يمثل فيها مناحي الإنسانية كلها ، فجمع بين العظيم الرفيع والعامي الخليع والمضحك الماجن ، وجعل العواطف الرقيقة الوادعة بجانب الأهواء العنيفة الفاجعة ، ولم يقنع بتمثيل الحوادث مجردة ، بل حرص على أن يصور الأهواء والعواطف التي صدرت عنها وتولدت منها

وأما في ألمانيا فليسنج (١٧٢٩ — ١٧٨١) هو خالق مسرحها القومي : وقف بين مواطنيه وبين المأساة القديمة ، فحال بينهم وبين تقليدها ، ودعا الناس قبل الابتداعيين إلى الأخذ عن شكسبير ، وإلى وضع الأساس لبناء المأساة العصرية . وأشهر مآسيه (منا دبر نهلم) و (ناتان الحكيم) و (أمليا جالوتي) . أما جيته فقد جمع بين الذهن القديم والعبقرية الحديثة ، وقد ظهر ذلك جلياً في دراماته ، وأشهرها (جوتز دير ليشينجين) و (تركاتو تاسو) و (إجمنت) و (فوست) . فأما (جوتز) فهي صورة قوية — وإن تكن غير جلية — لألمانيا في أواخر العصور الوسيطة . وموضوعها أن السيد جوتز لا يعترف لأحد بالسلطان غير الأمبراطور ، فهو يشعل الثورة في رؤوس الفلاحين ، ويقودهم لمحاربة النبلاء والكهنة ، ثم ينتهي أمره بالأسر والسجن في قاع مظلم بقية حياته . وأما درامته فوست فهي مجده وخلوده تجدها غامضة في جملتها ولكنها رائعة في تفصيلها . موضوعها أن الدكتور فوست تُبرمه الحياة ويُعنته الوجود ويَكربه فراغ نفسه فيتعاطى السحر ، ولكن اليأس يحتوشه فيدفع به إلى الانتحار . وبينما هو متردد بين الحياة والموت إذ يفجأه قرع الأجراس المؤذنة بدنو عيد الفصح فيذكره بقيامة المسيح ويأفكه عن عزمه المشئوم ، إلا أن الشك يعاوده ، فيدفعه إلى محالفة الشيطان فيبيعه نفسه على أن يمتعه بزهرة الحياة ونعيم الدنيا . فيؤتيه الشيطان من كل شيء إلا السعادة ، فيشرف على الموت ، إلا أن ماري تدركه فتنجيه

وعلى طريقة جوت كتب صديقه شيلر دراماته الرائعة كدرامة اللصوص ، ودون كارلوس ، ووليم تل . وأنبه الكتاب الروائيين في ألمانيا اليوم هو (جيرار هوبتمان)

ومن فحول الدرامة في العصر الحديث الكاتب النرويجي (جوهان إبسن) (١٨٢٨ — ١٩٠٦) وكان ينزع في مآسيه الدرامية نزعة فلسفية اجتماعية ، فهي من الدرامات العلمية أو الرمزية ، وقد سما فيها بقوة الفرد وهمته إلى أبعد غاية وأرفع منزلة حتى ولو ناقض ذلك الدين والتقاليد . أشهر دراماته بيت العروس (La maison de poupée) ، والأرواح ، والكنار الوحشي

يتبع (الزيات)

كستور الشتاء

لكي تقي نفسك شر برد الشتاء القادم

إلبس الكستور المصنوع في بلدك

من القطن المصري الخالص

بأيدي عمال مصريين

أصناف متعددة ورسومات جميلة متنوعة

أطلب كستور

شركة مصر للغزل والنسج

المصنوع بمصانعها بالمحلة الكبرى

من تجار المانيفاتورة بأنحاء القطر ومن محلات

شركة بيع المصنوعات المصرية

(١) كان شكسبير يسمي بعض رواياته مآسي ، وبعضها ملاهي . ولكن معنى هاتين الكلمتين كان يختلف إذ ذاك اختلافاً شديداً عما نريده منهما الآن . فقد كانوا يطلقون الملهاة على كل رواية خيالية الموضوع سواء أضحكت أم لم تضحك ، والمأساة على كل رواية حقيقية الموضوع سواء تأثر بالخيال أم لم يتأثر .

من مشكلات الحياة

قصة فتاة

تلقينا هذه الكلمة من فتاة سورية فلخصناها وعرضناها على القراء كما شاءت . وسننشر في موضوعها ما نراه أحجى بالنشر وأدنى الى الغرض

كثيرات هن اللواتي يغبطنني على حياتي ، ويتمنين لو أتاح لهن الحظ حياة مثلها . يرون فيّ كما يرى بقية الناس شابة جميلة ، أربح من وراء مهنتي مبلغاً يدني حياتي من الرفاهية ، وماذا أبتغي من الحياة بعد ؟ . . .

ولكن آه ! لشد ما أعاني من الألم في اخفاء حقيقة نفسي ، وظهوري أمام الناس بهذا الوجه الباسم ، والعينين الممتلئتين نشاطاً واغتباطاً وبهجة . حقاً إن أشقى الناس ذلك الذي ينزل الى قرارة نفسه ، وهناك في أعماقها يدفن ما يعاني من ألم ممض وشقاء ملازم – وهكذا الأيام تمر ، والسنون تكر ، وآلامي مدفونة لا أستطيع الجهر بها حتى لأقرب الناس إليّ ، لأنهم هم مسببوها ومُصَعّبوها من حيث يشعرون أو لا يشعرون . . .

ولدت في أحضان الترف والنعيم ، وربيت في حجر الدلال والرفاهية ، محاطة بالحب ، مغمورة بالأعزاز ، ولكن ما كدت أتجاوز العاشرة من العمر حتى أصيب والدي بنكبة مالية زعزعت كياننا وقلبت كل شيء رأساً على عقب . كنت صغيرة حينذاك ، ومن كانت في هذه السن لا تهتم إلا بالمرح واللعب ، ولكن كان الأمر معي على النقيض ، بدأت أشعر بفداحة المصاب وأتألم بقلبي الصغير ألماً هادئاً ساكناً ، ولما كنت بكر والديّ ، وكنت محور آمال أبي لما يرى من جدي واجتهادي في المدرسة ، كان يؤثرني بعطفه ويخصني بمحبته . كان لا يرى بداً من تعليمي والأنفاق عليّ . وفي الرابعة عشرة من عمري أرسلني الى مدرسة ليلية أجنبية بعد أن نلت الشهادة الابتدائية بتفوق عظيم ، ولقد مضى على هذه الحادثة ما مضى وأنا أتصورها بنت الساعة . أودعني ذلك الوالد الحنون المدرسة ، وأوصى بي الرئيسة والأخوات خيراً . وبعد ثلاثة أيام زارني قبل سفره ليستفهم عما إذا كنت في حاجة الى شيء ؟ وأعلمني بعزمه على السفر ، وزودني بنصائحه الغالية ، فاغرورقت عيناي بالدموع ، وتكلفت الابتسام لأخفي ألمي لهذا الفراق الذي كان أول عهدي به ، فضمني الى صدره وغمر رأسي بقبلاته ثم بكى ، وكأنه أبصر بعيني بصيرته ما ينتظرني من ألم وشقاء

قضيت حياة المدرسة ، وبدأت حياة العمل لأرفه عن هذا الوالد الحنون بعض ما يعانيه في إعالة أمي وأخواتي ، مغتبطة في قرارة نفسي بأنني استطعت أن أكافئه بعض المكافأة . ولكن جمالي وثقافتي وسيرتي الحسنة بين أترابي كانت تستثير الناس لطلب يدي ؛ وما من شاب من الطبقة الراقية في تعليمها أو في ثروتها إلا تمني أن أكون له ، ولكن كان الجواب دائماً سلباً ، ولما كان قلبي لم يتفتح لحب بعد ، كنت لا أعير هذه المسائل شيئاً من الاهتمام ، وكنت أعتقد أن كل فتاة تقدم على الزواج مجنونة ولا أريد أكونها

قاوم أبي تلك النكبات التي كانت تهاجمه بصبر وثبات ، ولكنها أخيراً خرجت عن طوقه فأصيب بالشلل ، وها هو الآن ليس بالميت فينسى ولا بالحي فيُرجى . وخلف لي أعباء ثقالاً لا قبل لمن كانت في مثل سني باحتمالها ، وشعرت بخطورة المسئولية الملقاة على عاتقي ، فكنت أقضي نهاري في العمل على الآلة الكاتبة وأعود في المساء باشة هاشة ضناً بوالدتي عن أن أحملها هماً فوق هم ، وبأخواتي اللواتي ينتظرن من عودتي الملاطفة والحلوى عن أن أخيب أملهن . المستقبل قاتم لا ألمح فيه قبساً من أمل ، والغد مجهول لا أعلم ماذا يحمل بين طياته ، ولا أدرى ماذا يكون المصير

طالبو الزواج يريدونني بالحاح ، وأمي ترفض بدعوى أن ليس بينهم من يستحق يدي ، فكل شاب لا يخلو من عيب ، وهي تريده ملاكاً لملاكها ، إذاً فلننتظر ولننتظر ، ولكن الانتظار طال . وفهمت ، ولكن في وقت متأخر أنها محاولات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب . فشقيقاتي الصغيرات تزوجن ، ووالدتي لم تبد في أمرهن تلك الملاحظات التي عودتنيها ، واثنتان منهن أصبحتا أمّين ، وأنا أنظر بعيني والألم يصهر نفسي والأباء يعقد لساني عن الافصاح بما يخالجني . هي تريد إبقائي عذراء أشتغل وأشتغل حتى الموت لأعولها مع بقية أطفالها . ولو أنها أفصحت لي عن غايتها لكتبت لها صكاً على نفسي أنني سأظل أشتغل الى أن يكبر أطفالها !! هي تحبني ، لا أشك في ذلك ، ولكن هذا لأنني أبذل في إسعادهم قلبي ومستقبلي وسعادتي !!

لقد ضقت ذرعاً بهذه الحياة ولم يبق في قوس الصبر منزع ، خلقتُ أنثى وحرمتُ ما ينعم به مثيلاتي ويسعدن ، واشتغلت كالذكور وحرمت الحرية التي يتمتع بها الذكور !!

لذلك عولت على أن أطرح هذه الصفحة الموجزة أمام قراء « الرسالة » وقارئاتها علني أجد بينهم من يرشدني برأي ينقذني من هذه الحيرة ؟

(. . .)

من تراثنا العلمي

فضائل مصر لابن زولاق

وصف وتلخيص لنسخة مخطوطة

للأستاذ على الطنطاوى

قال مؤرخ مصر الأستاذ عنان فى كتابه مصر الاسلامية إن لابن زولاق كتاباً يسمى فضائل مصر، وقد يسمى أخبار مصر، وإن بعض المؤرخين نقلوا عنه. وقد رأيت نسخة من هذا الكتاب فى المكتبة العربية العامرة فى دمشق أطلعنى عليها صديق الأديب الأستاذ احمد عبيد وهاك وصفها :

مخطوط يقع فى (٦٣) صفحة من القطع المتوسط، فى كل صفحة (٢٥) سطراً، وهو مكتوب بخط قريب من النسخ، وليس فيه ما يدل على تاريخ نسخه، وإنما يوجد فى آخره هذه العبارة :

« طالعت هذا الكتاب المسمى بفضايل مصر وصفاتها للشيخ ابن ذولاق الليثى رحمة الله عليه وعلى كاتب هذه الحروف ومالك هذا الكتاب الحاج ابراهيم الشكورى الطرابلسى والمسلمين . تحريراً بأواخر شهر ذى الحجة فى سنة ١١١٥ ألف ومائة وخمسة عشر »

أما صفحة العنوان ففيها اسم الكتاب :

« كتاب فضايل مصر وصفاتها لابن ذولاق الليثى رحمه الله آمين » وفيها أسماء الذين ملكوا الكتاب، بعضها ظاهر، وبعضها غير ظاهر، وهى مكتوبة بخطوط متباينة :

السيد هاشم باكييكج

الحمد لله . ملكه أفقر الورى أحمد الرشيدى الشافعى الأزهرى

فقير عفو ربه الغنى عمر العمرى

الفقير محمد العمرى سنة ٢٠٩

الفقير محمد سعدى العمرى

* * *

وجاء فى أول الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على القوم الكافرين . الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى

١ — قال أبو محمد الحسن بن ابراهيم بن الحسين بن الحسن ابن على بن خالد — راشد بن عبيد الله سليمان بن ذولاق الليثى (١) :

هذا كتاب جمعتُ فيه جملة من أخبار مصر وفضايلها وصفتها، اختصرته من كتابى الكبير فى (تاريخ مصر وأخبارها) ولم أذكر فى هذا الكتاب إسناد الخبر ليقرب على من أراده، وبالله التوفيق

فأوّل ما ابتدئ من ذلك، أن الله جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه، ذكر مصر فى ثمانية وعشرين وصفاً فى القرآن (وعدّد الآيات التى فيها ذكر مصر، أو فيها إيماء إليها، وذكر ما قاله العلماء فيها)

* * *

٢ — باب ماروى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

ستفتح عليكم بعدى مصر، فاستوصوا بقبطها خيراً، فان لهم ذمة ورحماً . (وسرد كثيراً من الأحاديث التى تدلّ على فضل مصر وأهلها، ولكنه أوردها مجرّدة من الأسانيد، ولم يذكر درجتها ومخرّجيها)

٣ — ذكر دعاء الأنبياء عليهم السلام لمصر

٤ — ذكر وصايا العلماء لمصر ودعاؤهم لها :

قال سعيد بن أبى هلال : إسم مصر فى الكتب السالفة أم البلاد . وقال عبد الله بن عمرو : أهل مصر أكرم الأعاجم، وأسمحهم يداً، وأفضلهم عنصراً، وأقربهم رحماً بالعرب عامة، وبقريش خاصة (وذكر مثل ذلك عن آخرين)

٥ — ذكر من ولد بمصر من الأنبياء، ومن كان بها منهم

٦ — من كان فيها من الصدّيقين والصدّيقات :

(ذكر مؤمن آل فرعون وآسية امرأة فرعون، وأم اسحاق ومريم ابنة عمران وماشطة بنت فرعون، وأن إبراهيم تسرى بهاجر أم اسماعيل، وتزوج يوسف بنت صاحب عين شمس . وذكر مارية القبطية الخ . . .)

٧ — وأن مصر بلد الحكمة والعلم ومنها خرج الحكماء الذين عمروا الدنيا بكلامهم وحكمتهم وتدبيرهم، فمنهم ذو القرنين وهو الاسكندر (وذكر القرية التى هو منها وذكره فى القرآن

(١) والمعروف فى كتب التراجم أنها زولاق بالزاى لا بالذال

وأنه به سميت الأسكندرية ، وأنه بنى اسكندرية أخرى ببلاد الخزر وثالثة ببلاد الروم الخ . .) ومن مصر جماعة الحكماء ، هرمس[1] وهو المثلث بالنعمة ، نبيّ وحكيم وملك (وعدّ فيمن خرج منها طائفة كبيرة من الفلاسفة والحكماء ثم قال) فهؤلاء حكماء الأرض وعلماؤها الذين ورثوا الحكم ، من مصر خرجوا وبها ولدوا الخ . وكانت مصر يسير إليها فى الزمن الأول طلبة العلم الخ . . وبمصر من العلوم التى عمرت بها الدنيا علم الطب اليونانى الخ . .

٨ — ذكر من ملك مصر من الطوفان إلى أن فتحت بالاســـلام :

ملك مصر ثلاثة وخمسون ملكا ، أولهم مصر بن نيصر بن حام بن نوح . وآخرهم هرقل الرومى وكسرى الفارسى ، منهم أربعة وثلاثون فرعوناً ، ممن طغى وتكبر وادعى الالـهية ، ومنهم من عمّر أربعمائة سنة وأقلّ وأكثر ، ولم يكن أعتى ولا أشدّ من فرعون موسى ، ولم يكن من أولاد الملوك ، وإنما أخذ مصر بحيلة (وذكر هذه الحيلة ، ثم جاء بأخبار طويلة عنه وعن بختنصر ، ولم يسمّ إلا قليلاً من سائر الفراعين)

٩ — ذكر من ملك مصر فى الاسلام من الولاة منذ فتحها عمرو بن العاص فى سنة عشرين من الهجرة الى سلخ شعبان سنة اثنين وستين وثلاثمائة (واثنى عشر)

أولهم عمرو بن العاص وآخرهم جوهر ، منهم أربعة عشر من بنى هاشم ، وعشرة من قريش ، واثنان من الأنصار ، وسبعة وثلاثون من سائر العرب ، واثنان وأربعون من الموالى ، الى أن دخلها المعز لدين الله أبو تميم — بن اسماعيل المنصور بن محمد القائم ابن عبد المهدى ، وصارت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة ، وقد عملت فى ذلك كتاباً

١٠ — ذكر من دخل مصر من الخلفاء قبل المعز (عدّ فيمن دخلها منهم ابن الزبير فى الجيش الذى فتح المغرب أيام عثمان ، ومعاوية بلغ الى عين شمس ولم يدخلها ، ومروان بن الحكم وابنه عبد الملك وعمر بن عبد العزيز الخ . . .)

١١ — ذكر عمال الخراج بمصر ، وذكر قضاتها :

ولى بمصر من عمال الخراج منذ فتحها المسلمون الى سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة ، واحد وعشرون ، منهم من جمع لهم الحرب والخراج ، ومنهم من انفرد بالخراج (وعدّ طائفة منهم ثم قال :) وقد شرحت ذكرهم فى التاريخ

وأما قضاتها منذ فتحها الى سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة فهم واحد وستون قاضياً ، أولهم قيس بن أبى العاص وآخرهم على بن النعمان ، فمنهم من أقام خمساً وعشرين سنة مثل بكار بن قتيبة ، ومنهم من بلغ عشرين سنة وأقل من ذلك ، وأقل من وليها يحيى ابن أكثم ، ولىَ ثلاثة أيام والمأمون بمصر ، ثم صرفه وسيّره معه الى الثغر

١٢ — ذكر من دخل مصر من أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم ومن توفى بها منهم

١٣ — ذكر من كان بمصر من عيون العلماء والرواة وطبقاتهم : يزيد بن أبى حبيب ، وعمر بن الحارث ، والليث ابن سعد[1] والمفضل بن فضالة ، وعبد الله بن وهب ، وأشهب بن عبد العزيز الخ .. وسكن بمصر محمد بن ادريس الشافعى الخ .. وكان بمصر جماعة بعد هؤلاء : أيوب بن سليمان الفارضى ، ويوسف بن يحيى البويطى ، وأحمد بن صالح ، واسماعيل بن يحيى المُزَنى الخ .. وكل هؤلاء مُفْتٍ ، ومنهم من يفتى فى علوم ، وقد سارت مؤلفاتهم

وكان بمصر من المحدثين المسندين : حرملة بن يحيى وعيسى بن حماد ويونس بن عبد الأعلى الخ . . والحسن بن على بن زولاق جد أبى ، وجماعة سوى هؤلاء . وكان بعد هؤلاء جماعة منهم محمد ابن زمان واسماعيل بن داود الخ . .

وكان بمصر من الفراض المؤلفين : أيوب بن سليمان والحسن ابن محمد الخ . . . وكان بمصر من عيون حفاظ الحديث محمد بن أحمد بن عبد الحميد الخ . .

وكان بمصر من رواة الحديث والأخبار والفقه : سعيد بن عفير وسعيد بن أبى مريم الخ .. وبعد هؤلاء الحسن بن على بن زولاق جد أبى ، ويحيى بن عثمان الخ . . وبعد هؤلاء على بن حسن بن قديد الخ . .

وكان بمصر من عيون النحويين عبد الملك بن هشام ، ومحمود النحوى الخ . .

وكان بمصر من عيون الشعراء الخ . ونصيب وجميل وبها توفى . والأخوص وابن قيس الرقيات وأبو نواس الخ . . وجعفر

(١) قال فى موضع من الكتاب أن هرمس هذا هو ادريس

(١) سنفرده بالترجمة فى (رسالة) آتية

ابن حدار ويوسف بن المغيرة والحسن بن عبد السلام واسماعيل ابن أبي هاشم ومحمد بن الحسن الخ . .

وكان بمصر من المتكلمين حفص المقرى واسماعيل بن يحيى الخ وكان بمصر من النساب هانئ بن المنذر ومحمد بن أحمد الحداد الخ وكان بها من الزهاد وأصحاب الوعظ سليمان بن... (وعدّ جماعة)

١٤ — ذكر عيون أشراف مصر ومن دخلها من آل أبي طالب وأول من دخل منهم :

قال : كانت مصر دار تشيّع منذ أيام محمد بن أبي بكر ، وهرب من مصر جماعة من شيعته — عند دخول مروان بن الحكم اليها وماصنعه بأصحاب مسجد الاقدام — وكان أهل مصر لا يؤوّلون في فتاويهم إلا بما يردّ جواب جعفر الصادق رضى الله عنه

وسافر إلى مصر جماعة من العلوية ، وكان أول علوى دخل مصر على بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبي طالب ، دخل يدعو إلى بيعة أبيه وعمه ، فسعى به إلى حميد بن قحطبة أمير مصر ، فراسله سراً إشفاقاً عليه الخ . . وتوفى على بن محمد بريف مصر الخ . . ثم دخلها اسحاق بن جعفر بن محمد الخ . . ومعه زوجته نفيسة بنت زيد وتوفيت بمصر فأراد حملها إلى المدينة فسأله أهل مصر دفنها بمصر ، واتخذوا قبرها مشهداً وهو باق إلى اليوم معروف . ثم دخلها محمد بن جعفر الخ . . وكلثوم صاحبة القبر المشهور ابنته (وذكر سائر من دخلها منهم وأخبارهم ووفاتهم في فصل طويل)

١٥ — ذكر من حدّث بمصر من ولد ابى طالب (عدّ أسماء جماعة منهم ثم قال) ولو شرعت في شرحهم لخرج الكتاب عن فنه

١٦ — ذكر من عُدّل بمصر من العلويين وقبل القضاة شهادتهم

١٧ — ذكر من كان بمصر من وجوه العباسيين

١٨ — ذكر التشيع بمصر والبيوتات المتشيعة :

قال يزيد بن أبي حبيب فقيه مصر : أقلبت [1] أهل مصر عن التشيع إلا جماعة : يعنى بيت بنى لهيعة وبنى نُباته ، وكان أهل مصر يكتبون بمسائلهم إلى جعفر الصادق رضى الله عنه ولا يعدلون عن فُتْياه . ولما قدم عليهم اسحاق بن جعفر حفّوا به كالكعبة ، ولما توفيت زوجته نفيسة الخ . .

وأما البيوتات المعروفة بمصر بالتشيع المكشوف قديماً فمنها : عبيد الله بن لَهيعَة وعباس بن لَهيعَة ، وكان الليث بن سعد فقيه مصر لما أحرقت دار عبيد الله بن لهيعة أرسل إليه الليث بألف دينار وقال استعِنْ بهذه واعْفِنا من فضائل على بن أبي طالب ، فأخذها عبيد الله وأنفذ إليه حديثاً من فضائل على ليغيظ به الليث !

ومنها بيت الحسَن بن على بن زولاق جد أبي . بيت علم ونسك وفقه ورواية ، وإنما احتمل له التشيع لفقهه وإتقانه وتفقّهه في الرواية ، وكان مقبول الشهادة منذ سنة عشرين ومائتين إلى أن توفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، وكان عليه قولاً لا يُملى حديثاً أو يبتدئ بفضائل على رضى الله عنه

وكان بعده ابنه الحسين جدى ، وابن ابنه ابراهيم والدى رحمه الله . ومنهم . . (وعدّ طائفة منهم)

١٩ — ذكر من كان بمصر من عيون الفرسان

٢٠ — ومصر فرضة الدنيا الخ . . وكذلك ساحلها بالقلزم ينقل إلى الحرمين والى جدة وإلى عمان وإلى الهند وإلى الصين وصنعاء وعدن والسند وجزائر البحر

ومن جهة دمياط والفرما ، فرضة بلد الروم وأقاصى الأفرنجة وقبرص وسائر سواحل الشام إلى حدود العراق

ومن جهة الاسكندرية فرضة أقريطش وصقلية وبلد الروم والمغرب وبلد البربر والحبشة والحجاز واليمن

وأما ما فيها من ثغور الرباط ، فمن ذلك رباط البرلس ورباط رشيد ورباط الأسكندرية ورباط ذات الحمام الخ . . وما ينضاف إلى هذه الثغور وجهاتها الخ

وكانت برقه وطرابلس من ثغور مصر إلى أن خرجت منها في سنة ثلثمائة فأضيفت إلى رباط المغرب

٢١ — وأما المساجد الشريفة (فعد منها كثيراً ثم قال) وبمصر مساجد الصحابة سوى ما ذكرناه . . . عدتها مائتين ثلاثة وثمانين مسجداً (؟) كانوا يبنونها بالآجر الأحمر ويبنون منازلهم باللبن وأكثرها باق إلى اليوم . منها . . (وعدّ طائفة منها ، ثم قال) هذه مساجد الخطط التى بناها أصحاب رسول الله (ص) سوى ما حدث بعدهم وبعد استقرار الخطط الخ . . وبالقرافة ونواحيها مساجد منها : مسجد الاجابة ، ومسجد الكرب ، وبها دار الأبرار

٢٢ — وبمصر من البقاع الشريفة :

(عدّ ما شاء ثم قال :) ولولا أنى اشترطت الاختصار وأن أذكر عيون كل من الأخبار لأطلت كتابى هذا

للبحث بقية — على الطنطاوى

(١) لعلها أقلعت

من الأدب الأندلسي :

٣ـ التوابع والزوابع

بقلم محمد فهمي عبد اللطيف

رأينا فى المقال السابق كيف راح ابن شهيد يتهكم بالأدباء الذين غمطوه فضله حقداً عليه ، وحطوا من قدره حسداً له ، وقد أبدى ابن شهيد — وهو بسبيل الكلام على أدب هؤلاء الأدباء — كثيراً من الآراء فى النقد والبيان هى أهم وأقوى ما اشتملت عليه التوابع والزوابع ، بل هى أهم وأقوى ما لابن شهيد من الآثار الأدبية ، حتى من شعره على عذوبته ، ومن نثره على ملاحته ، فنحن بلا خلاف نعتقده الناقد الأول بين النقاد الأقدمين فى الأدب العربى ، ولكنا بلا خلاف لا نعتبره الشاعر الأول ، ولا الكاتب الأول . ولما كانت هذه الآراء قد جاءت متناثرة فى الرسالة ، رأينا من الخير أن نجمع شتاتها وأن ننظمها فى سمط واحد ، حتى تتبين منها مذهب الرجل فى النقد واضحاً جلياً . وإذا كانت هذه الآراء قد شابها شىء من حقد ابن شهيد وضغنه على معاصريه ، إلا أنها آراء صحيحة ثابتة ، تزداد على طول الزمن صحة وثبوتاً . وهذه الآراء فى مجموعها تنقسم الى شقين ، شق يرجع إلى شخصية الأديب ، وآخر يختص بالآثار الأدبية ، وإنما نعنى بشخصية الأديب مواهبه العقلية ، واستعداده الفطرى ، وسعة معارفه ، وهذه ناحية قد أبدع فى بحثها ابن شهيد أيما ابداع ، وله فيها آراء قوية لم يسبقه اليها ناقد فيما نعلم ؛ فقد حاول أن يستخدم العلم والفلسفة فى دراسة الشخصيات وتفهم الملكات الأدبية فى الشخص ، ومقدار استعداده وطبعه ، والطبع — عند ابن شهيد — هو أهم ركن فى شخصية الأديب ، بل هو المرجع الذى يرجع اليه سر البلاغة . فمن كلامه : « إن البيان هبة إلهية لا علاقة لها بالنحو والصرف ، واللغة والغريب ، وإن الاختلاف الى الأساتيذ ، والتوفر على الدرس والبحث فى بطون الكتب ، كل هذا لا يجدى ولا ينفع إذا لم تكن ثمة فطرة سمحة ، ونفس مجلوة ، وطبيعة مواتية . وقد روى فى ذلك أنه التقى فى وادى الجن بشيطان أنف الناقة (وهو على علاته ذى علم ، وزنبيل فهم ، وكنف رواية) فأراد ابن شهيد أن يناوشه فى اللغة والنحو ، وطلب منه أن يطارحه كتاب الخليل وشرح ابن درستويه ، فقال الشيطان : أنا أبو البيان ، وقد علمنيه المؤدبون ، قال ابن شهيد (ليس هو من شأنهم ، وإنما هو من تعليم الله حيث يقول : الرحمن علم القرآن . خلق الانسان علمه البيان) وانما أنت كغن وسط ، لا يحسن فيطرب ، ولا يسىء فيلحى ، وليس من شعر يفسر ، ولا أرض تكسر ، حتى يكون نفسك من نفسك ، وقليبك من قلبك ، وحتى تتناول الوضيع فترفعه ، والرفيع فتضعه ، والقبيح فتحسنه »

وقد بحث ابن شهيد فى مقدار الطبع وتركيبه فى النفوس ، وأثره فى صور الكلام وتفويق المعانى ، وذهب فى البحث مذهباً فلسفياً فقال : « مقدار طبع الانسان إنما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه ، فمن كانت نفسه مستولية على جسمه من أصل تركيبه ، كان مطبوعا روحانياً يطلع صور الكلام والمعانى فى أجمل هيآتها ، وأروق لباساتها ، ومن كان جسمه مستولياً على نفسه من أصل تركيبه ، كان ما يطلع من الصور ناقصاً عن الدرجة الأولى فى التمام والكمال » ومن رأى ابن شهيد أن للأعضاء الظاهرة تأثيراً على الملكات الباطنة ، فتجده يقول فى جماعة من أدباء قرطبة « إنهم يدركون بالطبيعة ، ويقصرون بالآلة ، وتقصيرهم بالآلة هو من طريق العلل الداخلة من فساد الآلة القابلة الروحانية والخادمة لآلات الفهم ، والباعثة لرقيق الدم فى الشريان الى القلب ، وزيادة غلظ أعصاب الدماغ ونقصانها عن المقدار الطبيعى ما يعين على ذلك بالحس وطريق الفراسة من فساد الآلات الظاهرة كفرطحة الرأس وتسفيطه ، ونتوء القمحدوة ، والتواء الشدق ، وخزر العين ، وغلظ الأنف ، وازوراء الأرنبة »

وهذا المذهب قريب الشبه من مذهب النقاد الفرنسيين فى القرن التاسع عشر الذين استخدموا القوانين العلمية فى النقد الأدبى ودراسة الشخصيات ، وهو أشد قرباً من مذهب الناقد المشهور « سانت بوف » . فقد كان هذا الباحث يعمل على تطبيق علم التشريح ، وعلمى — الفسيولوجيا والبسكولوجيا — على تراجم الشعراء والكتاب ، وكان يتعمق فى بحث النفسيات ويهتم بالعرض كما يهتم بالجوهر ، ويبحث عن شكل صاحب الترجمة الظاهر ، من الطول أو القصر ، والنحول أو البدانة ، والقبح أو الجمال ، ليستطيع أن يدرك مقدار استعداده ومواهبه ، وما عنده من صفاء الروح وقوة الطبع . ولكن ابن شهيد كما ترى

له فضل السبق الى تقرير هذه الآراء ، ولقد أصاب ابن شهيد فى كل ما قرره ، ووفق فى شرحه وتعليله ، فلا جرم أن الطبع هو سر البلاغة ، ومبعث الصفاء وحسن الرونق فى صور الكلام ، وأن علوم اللغة والنحو والتصريف لا تجدى مع القلوب الغليظة ، ولا تخدم فى الفطن الجثة ، وإنما يسمو الكلام ويرتفع بقدر سمو طبع قائله ، وشرف نفسه وصفاء روحه ؛ وليس معني هذا أن ابن شهيد يطلق الكلام فى الحط من قيمة علوم اللغة والغريب ، أو ينكر فائدتها فى تكوين شخصية الأديب ، بل إنه يقرّ بفضلها ويعترف بفائدتها كعامل مساعد على نمو الطبع وتقوية الروح ، إلا أنه يرى أن استعمال الغريب واستخدام النحو مما يحتاج الى الدقة والبراعة ، فليس من الفصاحة أن تخرج العبارة فى أى وضع نحوى ، أو تجرى غريب اللغة على أى وجه كان ، ولكن الفصاحة أن تختار أملح النحو وأفصح الغريب ، بمعنى أن تكون العبارة على الوضع النحوى الذى يتفق والمعنى البيانى ، وبمعني أن تكون الكلمات الغريبة فى وضعها اللائق ، ومكانها المناسب ، فان بين الألفاظ قرابة يجب أن تراعى فى الوضع . وقد جلا ابن شهيد هذه النظرية الدقيقة فى حكاية رواها عما كان يقع بينه وبين تلاميذه فقال :

« جلس إلىّ يوماً يوسف الأسرائيلى ، وكان أفهم تلميذ مرّ بى وأنا أوصى رجلاً عزيزاً علىّ من أهل قرطبة ، وأقول له إن للحروف أنساباً وقرابات تبدو فى الكلام ، فاذا جاور النسيبُ النسيبَ ، ومازج القريبُ القريب ، طابت الألفة ، وحسنت الصحبة ، وإذا ركبت صور الكلام من تلك حسنت المناظر ، وطابت المخابر . أفهمت ؟ قال : أى والله ، قلت وللعربية إذا طلبت ، وللفصاحة إذا التمست ، قوانين من الكلام من طلب بها أدرك ، ومن نكب عنها قصر . أفهمت ؟ قال : نعم ، قلت وكما تختار مليح النحو وفصيح الغريب وتهرب من قبيحه ، قال : أجل ؛ قلت : أتفهم شيئاً من عيون كلام القائل :

لعمرك أنى يوم بانوا فلم أمت ... خفاتا على آثارهم لصبور
غداة التقينا إذ رميت بنظرة ... ونحن على متن الطريق نسير
ففاضت دموع العين حتى كأنها ... لناظرها غصن يراح مطير

فقال : أى والله ، وقعت « خفاتا » موقعاً لذيذاً ، ووضعت « رميت » و « متن الطريق » موضعاً مليحاً ، وسرى « غصن يراح مطير » مسرى لطيفاً ، فقلت له أرجو أنك تنسمت شيئاً من نسيم الفهم ، فاغد علىّ بشىء تصنعه . وكان ذلك اليهودى ساكتاً يعى ما أقول ، فغدا ذلك القرطبى فأنشدنى :

حلفت برت مكة والجبال ... لقد وزنت لروسى بالجبال

فى أبيات تشبهه ، وجاء اليهودى فأنشدنى :

أيم ركبانهم منعجا ... وقد ضمنوا قلبك الهودجا

واستمر الى آخر القصيدة فأتى بكل حسن . فقال لى ذلك القرطبى شعر اليهودى أحسن من شعرى ، قلت : ولا بأس بفهمك إذا عرفت هذا ، ولم يزل يتدرب باختلافه الى حتى ندى تربه ، وطلع عشبه ، ثم تفتح زهره ، وضاع عبقه . . »

والظاهر أن مسألة استعمال الغريب واختيار الألفاظ كانت من المسائل التى شغلت أذهان النقاد فى عصر ابن شهيد وقبله ، فقد عالج هذه الناحية أبو هلال العسكرى فى كتابه الصناعتين ؛ وكان من رأيه « أن تخيرّ الألفاظ ، وإبدال بعضها من بعض من أحسن نعوت الكلام وأزين صفاته ، فان أمكن مع ذلك منظوما من حروف سهلة المخارج كان أحسن له ، وأدعى للقلوب إليه . . . فينبغى أن تجعل كلامك مشتبهاً أوله بآخره ، ومطابقا هاديه[1] لعجزه ، ولا تتخالف أطرافه ، ولا تتنافر أطراره ، فتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها ، ومقرونة بلفقها ، فان تنافر الألفاظ من أكبر عيوب الكلام » والظاهر أن العسكرى قد تابع غيره فى هذا الكلام ، فقد روى عن أبى أحمد . . أنه قال : « كنت أنا وجماعة من أحداث بغداد ممن يتعاطى الأدب ، نختلف الى مدرك نتعلم منه الشعر . . فقال لنا إذا وضعتم الكلمة بلفقها كنتم شعراء » وقد يطول بنا القول ، لو أخذنا نتقصى أقوال النقاد فى هذه الناحية ، وإنما آثرنا كلام العسكرى لأنه فى مجموعه قريب الشبه بكلام ابن شهيد ، فقد قال بتآخى الكلمات ، وتخيرّ الألفاظ ، ومراعاة الحروف ، وهذا هو معنى قول ابن شهيد : « إن للحروف أنساباً وقرابات تبدو فى الكلام ، فاذا جاور النسيبُ النسيبَ ، ومازج القريب القريب ، طابت الألفة ، وحسنت الصحبة » إلا أن كلام ابن شهيد أدق وأعم ، كما إنه يمتاز بالقول فى اختيار الوضع النحوى للكلام مما سماه ملاحة النحو ، وهذا مالا يسبقه اليه أحد من النقاد ، فحبذا لو درج الأدباء فى أساليبهم من هذه الجهة على النهج الذى أوضحه ابن

(١) الهادى العنق

من شعر الشباب

من القلب

« مهداة إلى صاحب الملاح التائه »

قلبيَ الخفّاق أضناهُ الحنينْ — وبَرَتْه الذكريات القاتلهْ
وهو في ذكراه مُلتاعٌ حزينْ — يتعزّى بالأماني الخاتلهْ
ضجّ في أعماقه الحبُّ الحبيسْ — وسرى في الكُرةِ الكبرى صداهْ
إنْ هفَتْ للحبِّ أطماح النفوسْ — (فالحياة الحب والحب الحياه)
ياحبيبي هزّني الشوق إليكْ — هزّة الغصنِ بيومٍ عاصفِ
أنا أجْنَى منكَ يا روحي عليكْ — شدّ ما أشقى بحبي الجارفِ
ذاك روحي ماثلٌ بين يديكْ — فاشف جُرحا من جِراحات الهوى
أنا روح ذائبٌ في راحتيكْ — ذاب شوقاً من تباريح الجوى
يا حبيبي أنا في الدنيا خيالْ — أتراءى كالشعاع الشاحبِ
مُستطار بين خَبْوٍ واشتعالْ — أتعزّى بالخيال الكاذبِ
أنا من دنيا المُنى مبتئسُ — لا أرى في الكون نُعمى أرتجيها
هل جَنَى الأقوام ما قد غرسوا ؟ — إنها دنيا تُسَجّي عاشقيها ! !
ياعزاء النفس ، يا لحن الأسى — يادموع القلب : ياشعري تدفّقْ
لحنُكَ الباكي بأنّاتي انتشى — فأذبْ قلبي وبالروح ترفّقْ
يا مَراح الحب يا مهد الغرامِ — ياهتون الدمع : ياقلبي الجريحْ
هذه الدنيا كأطياف المنامِ — لفظَتْ(موسى) وضاقت(بالمسيحْ)
في سكون الليل تبدُو غرفتي — كشراعٍ رفَّ في اللجّ البعيدْ
ملّ طيف الحب فيها وحدتي — فشدا يُسمعني لحنَ الخلودْ
أنا فيها ساهم مُنفرِدُ — أستشفُّ الكون من عليائها
أنا في روض غرامي غَرِدُ — أتلقّى الوحي من أرجائها
عجباً للناس ، ساموني العذابا — وأرادوني على ما لم أطقْ
كيف أختار (الثعابين) صحابا — أوليس الغدر في الناس خُلُقْ ؟!
مَنْ له روحٌ كروح الشاعرِ — فَنِيَتْ في خدمة الناس جميعاً
إنْ همُ أنّوا لظُلمٍ جائرِ — صهرَ القلبَ وأذراهُ دموعاً
مَنْ رأى الشاعر يُعْنَى بشئونه — من رآهُ مُطْرِقاً في أمرِهِ ؟؟
إنما الشاعر آسٍ — في سكونه — لجراحاتِ الورى في شعرِهِ

اسكندريه — **عبد الرحمن عثمان علي**

شهيد ، فإنهم يخدمون أساليبهم ، ويخدمون لغتهم باحياء كلمات اللغة المهجورة التي تصلح للاستعمال والتداول

بقيت ناحية في كلام ابن شهيد السابق ، وهي قوله بتأثير الأعضاء الظاهرة على الملكات الباطنة ، فهذا كلام صادق الى حد ، بمعنى أنه لايطرد في كل الشخصيات ، فليس من الأنصاف أن نتخذه مقياساً للنبوغ ، أو قاعدة نبني عليها الحكم على الآثار الأدبية ، وليس أدلّ على هذا من إخفاق ابن شهيد نفسه حينما أراد أن يسوق الشواهد لاثبات هذا الرأي ، فقد اضطر أن يفضل سهل بن هرون على الجاحظ ، واستباح لنفسه أن يرمي الجاحظ بالغفلة وسقوط الهمة ، والنقص في أدوات الكتابة ، ثم راح يشرح ويدلل على هذا النقص فقال : « وربما أنكر قولنا في شرط جميع أدوات الكتابة ، فقيل : وأي أداة نقصت الجاحظ ؟ فنقول : أول أدوات الكتابة العقل ، ولا يكون كاتب غير عاقل ، وقد نجد عالماً غير عاقل وجدلياً غير حصيف ، وفقيهاً غير حليم ، وقد وجدنا من ينسب العقل الى سهل أكثر ممن ينسبه الى الجاحظ . . . ولو شاهد الجاحظ سهلاً يخادع الرشيد ملكاً ويدبر له حرباً ، ويعاني له إطفاء جمرة فتنة ، ناهضاً في ذلك كله بعقله وتجربة علمه ، لرأى أن تلك السياسة غير تسطير المقال ، في صفة غراميل البغال ، وغير الكلام في الجرذان ، وبنات وردان ، ولعلم أن بين المعلم والكاتب فرقاً »

وهذا كلام قد تعثر ابن شهيد في إيراده ، فلا نجده ينهض من جهة إلا ليسقط من جهة أخرى ، فالجاحظ أكتب كتّاب العربية غير مدافع ، وابن شهيد يقول إنه لا يوجد كاتب غير عاقل ، فكيف إذن يرميه بالغفلة وقلة العقل ، وكيف يقدم عليه سهلاً لبراعته في مخادعة الرشيد ، وسياسة الأمور ، وهذه ناحية لاتقتضي من العقل أكثر مما يقتضيه القول في صفة غراميل البغال ، وبنات وردان ؛ فان براعة الكاتب إنما تظهر فيما تفه من الأمور . وهيهات أن تخرج العربية خدناً للجاحظ في هذه الناحية . . . »

« للبحث بقية » — **محمد فهمي عبد اللطيف**

حب الشكور (١)

إنْ لمْ أُحبَّكِ للسَّنا وَالنُّورِ ... وَلِحُسْنِ وجهٍ فى الحياةِ نَضيرِ
وَلِسحْرِ رُوحِكِ حينَ يختلسُ النُّهى ... مِنِّى فأتبعُهُ اتِّباعَ سَحيرِ (٢)
وَلِمَا تضمَّنتِ الجمالَ فأفصحتْ ... بكِ منهُ ساحرةٌ منَ التعبيرِ
وَلِمَا ابتدعتِ وما منَحتِ منَ الهوى ... للكونِ، أوأحييتِ منْ مقبُورِ
إنْ لمْ أُحبَّكِ حبَّ مفتونٍ، ولاَ ... حُبَّ الأسيرِ، إذنْ فحبَّ شكورِ!

***

حُبَّ الذى أحييتِ فيه حياتَهُ ... ممَّا لديكِ منَ الحيا المذخورِ
ووهبتِهِ ملكَ الحياةِ، وطالما ... قدْ عاشَها كالعاملِ المأجورِ
ومنحتِهِ ماضيهِ بعدَ ضياعهِ ... وأعذتِ قابلَهُ منَ المحظورِ
حُبَّ الذى أشرقتِ فى وجدانهِ ... فجلوتِ كلَّ محجَّبٍ مستورِ
وَنفخْتِ فى عزماتهِ فتوهَّجتْ ... وَسمتْ لكلِّ ممنَّعٍ وخطيرِ

***

أوْ فلأحبَّكِ حبَّ منْ ألهمتِهِ ... شعراً، يضيءُ سناهُ كلَّ شعورِ
شعراً جمعتُ من الحياةِ زهورَهُ ... ومنَ الجمالِ نفحتهُ بعبيرِ
ومنَ الضياءِ وهبتُهُ آمالَهُ ... ومنَ النَّدَى علماً كوجهٍ غريرِ!
وبعثتُهُ وحيَ الحياةِ وفنَّها ... تجلوه ضمنَ جمالها المأثورِ

***

أفلاَ أحبكِ؟ إنهُ لفريضةٌ ... حبُّ الشكورِ لواهبٍ مشكورِ

سيد قطب

(١) من ديوان يصدر أول يناير (٢) سحير بمعنى مسحور

عاصفة فى قلب

عَييتُ بالقلبِ واستنكرتُ أحلامى
وَنُؤْتُ بالعمرِ واستثقلتُ أيَّامى
حطَّمتُها أمسِ آمالاً مُذهَّبةً
كانتْ تهدهدُ أحزانى وأسقامى
حطَّمتُها وهى فى شرخِ الصِّبا مللاً
ما للمنى وفؤادى الموجَعِ الدامى
مالى وَللحُلمِ الرفَّافِ يُسعدُنى
فى عالَمٍ مائجٍ بالشرِّ ظلاَّمِ
ما قيمةُ العيشِ لا تَلقى بساحتِهِ
من المنى غيرَ أشباحٍ وأوهامِ؟!
كفرتُ بالحلمِ ما هامَ الغفاةُ به
فلستُ فى هذهِ الدنيا بنوَّامِ
أأقطعُ العمرَ كىْ أحظى بلذَّتِهِ
وهمانَ تربَ خيالاتٍ وأحلامِ
لدمعةٌ وأنا مستيقظٌ أرِقٌ
أحبُّ منْ حُلمٍ كالزهرِ بسَّامِ
أصبحتُ بعدَ الرؤى فى مَهْمهٍ حَلِكٍ
من الحقائقِ داجٍ جِدِّ مظلامِ
حيرانَ أخبطُ كالمجنونِ مُرتقباً
نوراً يفيضُ فيمحو كلَّ إظلامِ
أسيرُ والدُّجيةُ النكراءُ غاشيةٌ
تزدادُ ما زدتُ فى سيرى وإقدامى
حتى رجعتُ — وقد أخفقتُ فى طلبى —
منَ الشكوكِ ببحرٍ مزبدٍ طامِ
هى الحقيقةُ ما تدنو مودَّتُها
ولو وقفتُ عليها كلَّ أعوامى

ابن خلدون
بقلم محمد عبد الله عنان المحامى
فيه عرض نقدى مستفيض لحياة المؤرخ الفيلسوف وتراثه الفكرى والاجتماعى فى مائتى صفحة طبع دار الكتب
ثمنه ٨ قروش. ويطلب من مؤلفه بشارع الساحة نمرة ٣٩ وجميع المكاتب

وأنتَ يا خافقاً فى كهفِهِ صَخِباً … حتّامَ تُمعِنُ فى شجوى وإيلامى
أأنتَ معبدُ شكٍّ لا ترى قلقاً … أم أنتَ ياخافقى ناقوسُ آلامِ
هذى الحقائقُ تنأى عنك هاربةً … وأنتَ مازلتَ فى شوقٍ وتهيامِ
تفرّقَ الناسُ فيها كلَّ ناحيةٍ … فكم ترى من (معرّيّ) و (خيّامِ)
من عهدِ (سقراطَ) لم تبرحْ محجّبةً … طخياء، شتّانَ بينَ النسكِ والجامِ
ما روضةٌ برزتْ للعينِ سافرةً … إذ جادها سحَراً دمعُ الندى الهامى
تهيجُ فى الصبِّ نارَ الحبِّ خابيةً … وتملأ النفسَ من وحيٍ وإلهامِ
ترى الطيورَ على الأفنانِ حالمةً … سكرى تلهّى بألحانٍ وأنغامِ
والنخلُ يرقصُ حولَ الزهرِ منتشياً … صبّاً ولوعاً بتقبيلٍ وتضمامِ
هبّتْ على بشرِها هوجاءُ عاصفةٌ … فخيّمَ البؤسُ فيها بعدَ إنعامِ
لا طائرٌ ناغمٌ فى الروضِ مرتنحٌ … فوقَ الغصونِ ولا نحلٌ بحوّامِ
كالقلبِ هبّتْ رياحُ الشكِّ تلفحُهُ … فقطّعَ العمرَ فى عزمٍ وإحجامِ
أهكذا الكونُ أحلامٌ ملفّقةٌ … قرّتْ حقائقُها فى صدرِ كتّامِ
تلقى أخا اللبِّ فى بيدائهِ دهشاً … حيرانَ يدلجُ فى ريبٍ وإبهامِ

دمشق — **أمجد الطرابلسى**

كما أراك

يا شعلةً من جنونِ … وصورةً للمجونِ
وهيكلاً للأمانى … ومعبداً للفتونِ
قدّستُ فيك شعاعاً … يرفُّ فوقَ الجبينِ
منغّماً سرمديّاً … سكبتَهُ فى حنينِ
تلألأ الكونُ منه … وشامَهُ الناسُ دونى
وتلك كأسُ الأمانى … أترعتُها من شجونى
وأنتِ نبعُ قريضى … وفتنةٌ لعيونى
وصورةٌ فى خيالى … وبارقٌ فى دجونى
ولمحةٌ من ضياءٍ … مسكوبةٌ بجفونى
وخطرةٌ بضميرى … ونغمةٌ فى سكونى
عبدتُها فى علاها … وإن شجانى حنينى
وأنتِ وحيٌ خفوقٌ … بدا بأفقِ الفنونِ

***

فى هيكلِ الحبِّ شعرى … وقّعتُهُ من أنينى
يا شعلةً من جنونِ … وصورةً للمجونِ

حسن محمد محمود

لجنة التأليف والترجمة والنشر

أتمت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع الجزء الأول من كتاب:

الاسلام والحضارة العربية

للأستاذ محمد كرد على

وزير معارف سوريا سابقاً

وهو يبحث فى حضارة المسلمين قديماً وحديثاً وأثرهم فى الحضارة العربية وتأثرهم بها . وقد طبع فى مطبعة دار الكتب ويقع فى نحو ٣٦٠ صفحة من القطع الكبير وثمنه ١٥ قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة بشارع الكردامى رقم ٩ ومن المكاتب الشهيرة

فى الأدب الانجليزى

شارلس مورجان

ومناحى التطور فى القصة الحديثة

بقلم محمد أمين حسونه

— ١ —



شارلس مورجان

إن ظهور رواية شارلس مورجان «صورة فى مرآة» ونفاد طبعتها فى بضعة أيام ، من شأنه أن يوجه أنظارنا إلى كاتب قصصى برز فجأة من بين المؤلفين العصريين ، وامتاز بعبقرية فذة تجلت فى سطور هذه الرواية كما تجلت فى روايته الأخرى « النافورة » The Fountain التى هتف لها النقدة ورفعوها إلى الصف الأول بين الروايات التى ظهرت عقب الحرب الكبرى .

فبينما يحدثنا المؤلف عن هذا النوع الجديد من التصوف « حياة التأمل — Contemplative life » الذى يحيط بفصول روايته كهالة من القداسة ، ويحلق بنا فى الأجواء التى تخلد فيها أرواح أرسطو وأفلاطون وديكارت ، إذ نراه فى فصل آخر ينزل بنا إلى التحدث عن علاقة الأجساد بالشهوة ، أى يعود بنا آدميين تحكمنا غريزة الجنس وتطغى على ميولنا وعواطفنا ، فيصف فى صراحة مخيفة التبشير باللذة الجسدية وأثرها فى العلاقات الجنسية وصفاً هو أشد وقعاً من الفن الذى ابتدعه الروائى الاباحى د . ه . لورانس

كان القصصيون إلى العصر الفكتورى يهتمون كثيراً بصنع قوالب لشخصيات شاذة ثم يصبون ماء الحياة فيها ويحملون القارئ على أن تعلق هذه الشخصيات بذاكرته . وكثيراً ما كانوا يملأون صفحات مملة باردة يصفون فيها نشأة أبطالهم وعوائدهم وطباعهم ونظرتهم إلى الحياة والدين والأخلاق ، ثم تنتهى الرواية بترجيح كفة الخير على الشر . وكان اهتمام الروائيين فى عصر الملك ادوارد موجهاً إلى تسجيل الحركات والدوافع والفضائل ، وكانوا يلقنون البطل أقوالاً يعرب بها عن عقائدهم وأفكارهم ونزعاتهم ودروساً وعظات أخلاقية ، أما الفن الروائى الحديث فيختلف عن هذا كله وينحو منحى جديداً ، فقد جعل كتابه من أهم مظاهره تقريب الحياة إلى ذهن القارئ بأن يشعر كأنه يعيش فى نفس البيئة والجو ، كما يهتمون بتسجيل حركات شخصيات رواياتهم وخواطرهم ومشاعرهم الخفية ورسم أطياف أحلامهم وذرات تفكيرهم وارتباطها بنشاط العقل وإبراز العبقريات المدفونة وتقديسها ، فالرواية الحديثة حوض بلورى تسبح فيه الرغبات والآمال ، والأفراح والأتراح ، وتشف من جوانبه الهواجس والأحلام . . . .

ونحن نشعر لأول وهلة بعد مطالعتنا لقصص شارلس مورجان بهذه الصفات جميعاً ، وبقوة جذابة فى الأسلوب وفى اللهجة ، قوة هادئة منظمة تسيطر على الأعصاب وتبدو من خلالها صفات المؤلف التى لا تمت مطلقاً لا إلى الواقعية ولا إلى التحليلية ، بل إلى تجارب ثمينة وإرادة حديدية وفن إبداعى لم يسبقه إليه أحد

بدأ شارلس مورجان (١) حياته فى البحرية الانجليزية وعمره سبعة عشر عاماً فطاف ببلاد وموانٍ مختلفة ، وقد تولد ميله إلى الأدب بتأثير حادث خفى . ولما زار أكسفورد للمرة الأولى راقته حياة الطلبة ودفعته رغبته فى إتمام تعليمه وتعلقه وشغفه بالأدب إلى أن يؤثر الالتحاق بالجامعة على الاندماج إلى الأبد فى سلك البحرية . غير أن شبوب الحرب العالمية حال دون أن يحقق رغبته فاضطر إلى أن يعود ثانية إلى العسكرية واشترك فى الدفاع عن أنفرس إلى أن سقطت فى يد الألمان فوقع فى الأسر وأرسل إلى أحد المعتقلات العسكرية فى هولندا ثم أفرج عنه عقب الهدنة وعاد إلى انجلترا ليلتحق ثانية بجامعة أكسفورد .

كانت أول أعماله الأدبية روايته الأولى « غرفة البنادق » فى عام ١٩١٩ وقد تحدث فيها طويلاً عن حياة البحرية ، غير أنها قوبلت من جانب الصحف والنقدة بقلة الاكتراث لعدم

(١) بعض تفاصيل حياته استقيتها شخصياً من المؤلف بعد أن علم أنى أنقل روايته النافورة إلى العربية

ذيوع اسم مؤلفها . وفى عام ١٩٢٥ أصدر روايته الثانية « اسمى لا عدد له » فـكان نصيبها نصيب روايته الأولى

أحس مورجان بدبيب الفشل يتطرق الى نفسه ، وانصرف الى الوحدة والمطالعة وخاصة فى كتب الفلسفة والتصوف ، وفى عام ١٩٣٢ ظهر فى الجو الأدبى للمرة الثانية بروايتين : الأولى « صورة فى مرآة » ، والثانيـة « النافورة » يصفهما كلير اليان انجيل الناقد الفرنسى : « بأنهما ثمرة مجهود طويل دقيق ، أشرفت عليه إرادة جبارة تدل على نضوج فى الرأى وقوة فى التفكير » ويقول عنه محرر « النوفيل ليترير » فى معرض نقده لفن شارلس مورجان : « بأن أهم مميزات عبقريته تحفظه فى التعبير ، ولا يمكن مطلقا اتهامه بالبرود والجفاء لأن الانفعالات المكبوتة قد لا تخلو من الاحساس ، ولهذا فأشخاص قصصه يشعرون ويتألمون ولكنهم يتهامسون دون رفع أصواتهم »

يمتاز أسلوب شارلس مورجان بفصاحة فى التعبير ، وربما كانت روايته «النافورة» مشوبة بشىء من الاسهاب فى الوصف ، ويمكن أن يقال أيضاً بأن الوضع فى روايته الأخرى « صورة فى مرآة » غير متناسق فى مجموعه ، غير أن بعض نكات المؤلف الطريفة تعطينا شيئاً من الطلاقة الى جانب عبوس الموضوع . وقد جاءنا المؤلف أيضاً بأشباح هم أبسط تكويناً من أبطاله ، يعيشون فوق سطح الموضوع لا فى قاعه ؛ مثال هذا : وصفه فى القسم الأول من « النافورة » حياة الضباط الانجليز فى المعتقلات الهولندية ، والآنسة فولاتون العانس فى رواية «صورة فى مرآة» وجعلها تلقى الكلام على عواهنه فى شىء من المزاح الخطر . ومع ذلك فالمعانى التى يأتى بها المؤلف ترتكز على تلك الصراحة التى يصور بها نفسية أبطاله ، وهو لا يكاد يشرح مسألة هامة حتى يترك المجال رحباً لاثنين أو ثلاثة من أبطاله ، فيختفى وراء شخصياتهم ليلقنهم آراءه وأفكاره .

فى رواية « صورة فى مرآة » يصف لنا حياة رسام شاب يدعى نيجل فروبز يقابل مصادفة صديقة له كان يحبها منذ سنوات ، فحين يلتقى بها بعد هذه الغيبة الطويلة ينبعث الماضى من قلبه فجأة كعالم كان يجهله . حاول أن يهبها حبه فأخفق ، لأن صورتها الأولى التى كان يهيم بعبادتها قد تغيرت بمرور الزمن ، وكانت أيضاً على وشك أن تتزوج من غيره ، فتترك عريسها وتتعلق بالرسام الشاب وتمنحه قوة حبها السابق ، على حين أنه يشفق عليها فقط لأنه يعطف على ذكرى الماضى ويقدسه .

وتعتبر روايته الثانية « النافورة » رداً على هذه النظرية ، فموضوعها هو التفاهم الفكرى بين رجل وامرأة ، والتفاهم الروحى بين رجل ورجل هما فى القصة أخصام ، ولكن الخصب الفكرى والتوافق فى ذلك الأفق العالى من الثقافة يمحو الخصومة ويسمو بهما الى مراتب الآلهة

بطلها لويس اليسون شاب لا يزال فى مقتبل العمر ، ولكن لفرط تعمقه فى الفلسفة والتفكير يبدو أكبر سناً من حقيقته . وعند ما يتكلم بروية يضطر غيره الى الأصغاء ؛ هو مغرم بالتاريخ لا يدرسه لنفسه ولكن للفلسفة فى التاريخ ، يدرس تطور العقل الانسانى المشترك فى العصور المتعاقبة ويتابع ناحية جلية منه ، وهى أن هناك عقلاً واحداً من أقدم عصور التاريخ الى اليوم ، وسواء أكان هذا العقل عقل افلاطون أو ديكارت أو نيوتن فانه العقل الانسانى يحاول أن يخترق الحجب وأن يمزق قناع الغيب

فشارلس مورجان يطبق النظرية الفلسفية الحديثة القائمة على توحيد العقل الانسانى ويطبق أثر تصوفه فى أخلاق أفراد قصته ، فيقول على لسان أحـدهم حين يتلو صلاته فى تقوى وخشوع : « عندما كنت طفلا أخذ الله بيدى ، ولما كبرت هربت منه ، وعندما احتجت الى الراحة والسلام بحثت عنه وطفت المدينة بمصباح ، ثم غمرتنى الذلة وانحنيت الى الأرض أبحث عنه فى الأوكار وتحت صفحات الأزهار ، ولكن لم أجد سلاماً ولا راحة ، وصرت كطفل أو كعالم كبير ضل طريقه فلم أعد أعلم عمن أبحث ، فرميت مصباحى ومفاتيحى وبكيت ، ورأيت فجأة نوره يملأ قلبى ، وعدت الى المدينة فاذا النور لا يزال حيث هو ، واذا بى أمرح فى سجن نفسى بينما الدنيا تتابع الطرق على بابى ، رب أعطنى يدك عندما تدعونى اليك »

— ٢ —

نراه يصف الأسرى فى المعتقلات الهولندية فيسهب فى تسجيل حركاتهم وخواطرهم ، عند ما يتألم الطيار الذى اعتاد الجو فلا يستطيع الصبر على الأسر ، يقول لويس اليسون المفكر الغارق فى فلسفته : أتعلم أنى حين أطير أصل الى لحظات ينكشف لى فيها الغيب وأرى ما لا تراه العيون كما ترى أنت بالطبع حين تخلو الى نفسك والى أفكارك ، ثم أعود الى الأرض . . . أعود آدمياً مع الأسف كما تعود أنت بعد خلوتك لتختلط بنا وتتكلم معنا

وعند ما يتقابل لويس اليسون مع جولى ناروتز — وهى سيدة

شابة انجليزية متزوجة من أحد الناس لا تحبه — يعرف أنها كانت تلميذته القديمة وهو فى لندن فتأخذ الذكريات تتفتح فى قلبه شيئاً فشيئاً كما تتفتح الزهرة فى أشعة الشمس وتحاوره قائلة :

— أستاذى . . . كيف ترانى الآن ؟ هل تغيرت ؟

فيجيبها وهو شارد فى تأملاته :

— معاذ الله . . لقد صرت كشبح جميل قام من هذه البحيرة .

فتلذعه بقولها :

— إذا وداعاً للحم والدم !

تتحول صداقة لويس وجولى الى حب ، هو فى نظرهما وسيلة للبحث عن توازن يتغلب على تقلبات الدهر ، أو كما يصفه المؤلف نفسه : « عند ما يتم امتزاج الرجل بالمرأة وهما فى أشد أدوار النشوة ويحاولان أن يعبرا جسر الجسد الى وحدة الروح ، فانهما لا بد واصلان الى سخرية ما بعدها سخرية ، ومهما أحاطا الحب من خيال وحرارة وإيمان وابتغاء الخلود بالذرية ، فان الأحساس الجسدى يظل كما هو ، جسمان منفصلان كطائرين يحاولان التلاقى خلال (لوح) من زجاج ! »

والخلاصة أن بطلى هذين النزاعين النفسيين متشابهان كل التشابه ، ينجل[1] فريوز فى السابعة عشرة من عمره ، ولويس[2] اليسون فى الثلاثين ، ولكن كليهما يبدو أكبر سنا من حقيقته ، فنضجت فى الحياة تجاربهما . وصورة الرسام الفنان تتشابه تماماً وصورة الضابط الشاب ، فانهما يمتازان بعمق الأرادة وانحصار قوة التفكير المحاط بتكتم يخضع المحيط بهما ، ولوعة الذكرى التى تعذب ينجل وشعوره بالألم من مجرد مرور طيف كلير بمخيلته ، هو نفسه شعور اليسون عند ما يلتقى بتلميذته جولى ويحبها . وقد يمتاز اليسون عن زميله بأنه رجل كثير التفكير ، يسبح فى آفاق عالية ، فعند ما يؤخذ الى الأسر يفرح كالطفل ويقول ، بأنه سوف يخلو الى مطالعاته وتأملاته

فحياة التأمل ما هى فى نظره إلا التاج لآمال الرجال الذين فجعوا وهم فى زهرة العمر

أما كلير وجولى فانهما تختلفان نوعاً ، فبطلة « صورة فى مرآة » بطيئة فى فهم جموح عاطفة الطفل المعجب بها والذى يحبها حباً نادر المثال . لذا نراها مبتعدة عنه بل تكاد تكون سلبية ، على حين أن جولى ضحية تنازع لعوامل مرتبكة ، وهى لذلك كثيرة الاضطراب مبلبلة الفكر ، وقد تجنب المؤلف أن يثير بشأنها مسألة الجنسيات ، فهى انجليزية ولكنها متزوجة من ألمانى يدعى فون ناروتز ، وشخصية هذا الضابط غريبة حقاً فى الرواية ، فالمؤلف يظهره أمامنا وقد عاد من الحرب مشوهاً مريضاً بالربو ، يقاسى نوبات حادة من الألم ، يقول عنه « إنه ترك مرتبة التفكير وصعد الى أعلى من هذا واستقر ، فهاهو يعود الى داره بآلامه التى لا تطاق ، فيحاول أن يصبر كأنه جبار »

ولكن البارون — رب القصر — وهو رجل موفور الصحة ، لا يكتم رأيه العملى حيال فون ناروتز فيقول : « إن العالم كمزرعة لا يجب أن يتسامح المرء فى الضعيف فيها وإلا قل الأنتاج وحل الخراب ، فالضعيف المريض يجب أن يمحى »

يسمع ناروتز منه هذا ويحاول أن يصبر على الألم ولا يشكو فيقول فى إحدى محادثاته : حقاً إن الرجل القوى يتحكم لدرجة ما فى الموت والحياة

وهو قد جاء الى القصر بآلامه وانتصر على الموت لأنه يحب زوجته جولى حباً عميقاً خالصاً ولأجلها يريد أن يعيش

ولكنه يعلم بعد هذا أن العلاقة التى تربطه بزوجته أصبحت علاقة المريض بالمرض فهى تخونه مع لويس لأنها محرومة منه ، ولو طالبها بالوفاء له ، وهى شابة ناضجة الأنوثة ملتهبة العاطفة لكان هذا فوق طاقة البشر ، فيقذف بنفسه فى غمرة من المثل الأعلى اليائس ، وأخيراً يصل إلى حالة انفصال تام عن الحياة وحالة هدوء واستسلام وتجلد أمام الآلام ويأخذ الجبار فى الموت فلا يلبث قليلاً حتى تختنق شخصيته

وقد قصد المؤلف بإظهاره أن يطلعنا على صورة من صور النساك الحديثين الذين يعتبرون أن الحرب ما هى إلا تكفير دينى لخطايا البشرية ، ولو كانت شخصية فون ناروتز غير هذا من الخلق لأصبح الموضوع تافهاً ، ولكن إظهاره بهذه الصورة يدل تماماً على طريقة رسم المؤلف لشخصياته

جميع أبطال شارلس مورجان مثقفون لا يعيشون إلا بأرواحهم ، وبالرغم من تحليله النفسى الدقيق فانه لا يسرف مطلقاً فى وصف « تيار الضمير » كما هو الحال فى أكثر المؤلفات الانجليزية الحديثة

فأشخاص مورجان يحكمون عقولهم ويدرس بعضهم أخلاق بعض ، وهم ذوو إرادة قوية ، ولا يمكن للغريزة أن تحكمهم حتى فى أعمالهم ، يسلكون طريقهم الطبيعى ، ويقفون أحياناً يائسين

---

١ — بطل « صورة فى مرآة »

٢ — « « « النافورة »

العلوم

٦ – بحث فى أصل الانسان

بقلم نعيم على راغب
دبلوم عال فى الجغرافية

من تلك الفكوك المتحجرة التى وجدناها عرفنا أنه قد عاش فى الغابات الاستوائية فى أوائل عصر البليوسين نوع من القردة الكبيرة ، وأنه قد كان لنوع من أنواع الغوريلا أو الشمبانزى أو أورانج يورنيو وسومطره كبير الحجم يمت الى الانسان بالشبه من وجوه مختلفة . وأننا نعرف أن أصناف القردة التى تسمى Anthropoids والتى يمثلها قرد الأورانج والسيامى كانت موجودة ، وأنه كانت هناك كذلك أنواع أخرى تختلف كثيراً عما نراه فى نظيراتها اليوم ، إلا أنها كانت من أصل واحد . ولذلك فان من الممكن القول أن ذلك النوع الذى تفرع وتطور منه الانسان كان موجوداً فى أوائل عصر البليوسين

ونحن إذا تقدمنا فى بحثنا الى عصر الميوسين فانه لا يمكننا أن نجد فيه أى أثر إنسانى . وليس فى استطاعة من يعرف أن بحثنا لم يكن إلا قصير المدى ولمدة وجيزة وأن هناك معلومات قيمة جيولوجية لم يكشف عنها بعد ، إلا أن يقول إن الانسان لم يوجد فى عصر الميوسين بشكله الذى نعرفه به . وليس هناك أى شك فى أن أواخر ووسط عصر الميوسين كانت فترة تطور كبيرة مدهشة فى عالم القردة ، دليلنا على ذلك ما قد كشف بين ثنايا طبقات ذلك العصر من متحجرات وبقايا مما لا يقل عن عشرة أنواع من أنواع القردة الكبيرة التى فاق حجمها حجم الانسان . وكانوا عمالقة إذا ما قورنوا بما قد سبقهم من الأنواع الكبيرة . ولما كان الانسان عملاقاً أوليا بالنسبة لباقى المخلوقات وكانت هذه الحيوانات وأحجامها أمام فكرنا ، فانه لا يسع الانسان إلا أن يشك فى أن الانسان قد تفرع فى ذلك الوقت عن فرع منها .

أما معلوماتنا عن هذه القردة فقد بنيناها على ما قد وجدناه من بقايا فكوكها وحطام أسنانها . يقول عنها بعض العلماء إنها بقايا نوع من القردة الكبيرة كان متجها نحو التطور الانسانى ، ولكن لا يمكننا الحكم بذلك من مجرد بقايا لفك أو بضع أسنان ، لأنه قد سبق لنا أن مظهر الفك وشكله لا يدلان على نوع صاحبه كما عرفنا فى انسان البلتدون . ولكن البرهان الحقيقى الذى يمكننا أن ننتزع منه الحقائق الثابتة هو الجمجمة وعظمة الفخذ والقدم ، وهذا ما لم يوفق اليه أحد حتى الآن

لكننا مع ذلك يمكننا القول حدساً بأن قردة عصر الميوسين برغم اختلافها فى الشكل والتكوين عن نظيراتها فى العصر الحالى

بعد تردد ، وهم لا يعملون عملاً متفقاً عليه ولا يتحركون كالآلة ، بل تبدو من خلال شخصياتهم الارادة القوية والشعور باحترام أنفسهم ، وبرغم الحوادث والكوارث التى تنتابهم تراهم محتفظين بنزاهتهم الأدبية وباستقلالهم فى الرأى والحكم

فشارلس مورجان يعد أيضاً من هذه الناحية من المؤلفين الارشاديين ، وهو يوجه قراءه إلى مثل عال واضح محدود . وفى الوقت الذى يتلمس التأليف الروائى الانجليزى سبلاً للوصول إلى نوع جديد ، نرى مورجان يسلك طريقاً مبتكراً ، وهو يشبه فى فنه « برنسيس دى كليف » وغيرها من القصص التى يجمع أبطالها بين الشهوة والاتزان فيفخرون بتحمل آلامهم باحثين عن الراحة فى شعورهم بالاخلاص للمثل الأعلى

وخير ما أختتم به هذه الدراسة المقتضبة أن أردد ما قاله الناقد الروائى لملحق التيمس الأدبى :

« إن الذين تطربهم الشهرة والذين يعترفون بقوة الالهام ويقدرون أيضاً نعمة إظهار الأخلاق على حقيقتها وتحديد العواطف البشرية ورسمها ، والذين يميلون بفطرتهم إلى آداب النثر الفنى الانجليزى وعظمته يستطيعون أن يجدوا كما وجدنا هذه الآثار الرائعة فى روايات شارلس مورجان »

محمد أمين حسونة

لا تختلف عنها فى شىء آخر ، وقد وجدت آثار لصغار القردة التى يمثلها نوع الجيبون وتمتاز أسنانها بصغرها ، مختلفة فى ذلك عن باقى الحيوانات التى كانت منتشرة فى غابات الملايو .

وإننا لا نشك لحظة فى القول بأنه إذا كان هناك عالم حيوانى قد نزل الأرض من كوكب آخر منذ ٧٠٠ ألف سنة لوجد كل الأجناس موجودة بها ما عدا الانسان ، وهذا معناه أن الانسان كما نعرفه الآن لم يوجد قبل تلك الفترة ، ولكن هل كان الانسان الأول موجوداً فى ذلك الوقت ؟ أو هل كان أصل الانسان الذى تفرع عنه موجوداً فى ذلك الوقت ؟ . . لا يسعنا إذا نظرنا إلى كمال جسم الانسان وتمامه قبل نهاية عصر البليوسين إلا أن نقول إن الانسان فى تطوره أو تفرعه عن شجرة الأجناس (كما سنطلق عليها الآن) قد بَعُد عن أن يكون قرداً أو عن نوع القردة من بدء عصر الميوسين على أقل تقدير ، وهذا ما احتاج إلى ملايين السنين ، وربما كان ذلك قبل ذاك الوقت حيث عصر الأوليجوسين

ولنجل اليوم جولة أخرى حيثُ يقودنا الماضى السحيق الذى يبعد عنا عالا يقل عن نصف مليون سنة إلى عصر مبكر من عصر الأوليجوسين حينما كانت الغابات تغطى شمال أفريقيا ومنطقة الصحراء الكبرى والسودان ، وحينما كان يغمرها نهر عظيم فياض كان يفيض فى الشمال والجنوب مكوناً دلتا عظيمة كانت مكان دلتا النيل الحالية ، وتظهر آثارها فى الفيوم على شكل ربوات عالية من الطباشير ، غنية بحفرياتها التى تمثل نوع الحيوان الذى كان يسكن شمال أفريقيا فى النصف الأول من عصر الأوليجوسين ، ولذلك نوجه بحثنا إليها .

فى سنة ١٩١٠ كشف بها عن اكتشافات هامة هى أسنان وحطام أفكاك ثلاثة أنواع غريبة من الأنواع الأولى البائدة . وكان أشد ما أدهشنا فى تلك الأسنان أنها صغيرة الحجم ، وأن تلك الأنواع صغيرة الحجم لا يتجاوز حجمها حجم القرد الأمريكى المعروف باسم Marmoset ونسبة حجم جسمها إلى جسم الجيبون توازى نسبة حجم ذلك إلى حجم القردة الكبيرة . إلا أنه قد كشف أن أحدها وهو الذى أطلق عليه Propliopithecus عت بصلات تقربه جداً إلى النوع المعروف باسم الجيبون . وإنا نشك فى أن هذا النوع الذى ذكرناه قد يكون أصل قردة الأوليجوسين والميوسين والأنواع التى يطلق عليها اسم الجيبون

وقد وجد الباحثون هيكل قردين آخرين : الأول صغير الحجم (وقد وجدا بالقرب من الفيوم) يظن أنه قد تفرع عن أصل قردة الجيبون وقردة الدنيا القديمة . وفى هذا النوع الذى وجدوه نلتمس القرابة والتشابه المحسوس مع قردة الأيوسين . أما الهيكل الثانى فانه لقرد صغير يظن أنه من حلقات تطور القردة الأولى

وإن منطقة الفيوم هذه قد أعطتنا فكرة عن قردة الدنيا القديمة وتطورها فى عصر الاوليجوسين ، وهذه الفكرة تكفينا لنعرف أننا نقترب فى بحثنا ونتعمق فى عصر من الدرجة الأولى لتطور أنواع القردة الى عصرنا هذا الذى تختلف فيه أنواع القردة الأولى ، ولو أن كليهما من عنصر واحد وتركيب واحد

وقد أمكننا من بحثنا فى صخور الاوليجوسين أن نعرف ونرى بوضوح تام أنه لم يوجد فى ذلك العصر أى نوع من الأنواع الانسانية أو القردة ، بل وجد أصل كل تلك الأجناس العظيمة

ولم نكن نريد أن نتعمق أكثر من هذا فى بحثنا ونصل فيه الى عصر سحيق متناه فى القدم يمثله العصر المعروف باسم عصر الايوسين ، إلا أننا علمنا أن العلامة الكبير الأستاذ ف . وود جونز وهو من عباقرة هذا العصر Prof. F. Wood Jones يصرح بأنه يؤيد أصحاب النظرية التى تقول إن الانسان قد تفرع من شجرة الأجناس وابتعد عن باقيها من عصر الايوسين حينما أخذت ذوات الثدى تعدل من شكلها ويتخذ كل منها له صفات ومميزات تميزه من غيره

لذلك نقول إنه قد وجد فى طبقات عصر الايوسين وبخاصة فى الولايات المتحدة وفرنسا متحجرات لأنواع كثيرة جدا من ذوات الثدى البائدة وكلها صغيرة الحجم . وقد وجد ضمنها نوع يشابه القردة التى أطلق عليها اسم Tarsioid وهذا النوع قد باد ولم يبق ما يماثله الآن سوى نوع واحد يعيش فى غابات الملايو سريع الحركة براق العينين واسمها لا يظهر إلا بالليل ويطلق عليه اسم Tarsius

ويعتقد الأستاذ وود جونز أننا فى بحثنا هذا سوف نجد حتما سلسلة متتابعة من الهياكل المتحجرة التى تثبت لنا أن أصل الانسان يرجع الى سلف من أسلاف هذا النوع (Tarsius) وبذلك يعطى للانسان وأصله عمراً يقدر بنحو مليونين أو ثلاثة ملايين سنة ؟

يتبع

نعيم على راغب

البريد الأدبي

تاريخ عام للآداب

عنى بكتابة التاريخ العام من نواحيه السياسية والحربية كثير من المؤرخين فى مختلف العصور ؛ وكان المؤرخون المسلمون فى طليعة من تناولوا تاريخ الانسانية على هذا النحو . وصدرت فى العصر الحديث موسوعات تاريخية عديدة تعالج التاريخ عصوراً أو أمماً ، ولبعضها قيمة علمية ونقدية رفيعة . ولكن تاريخ التفكير الانسانى لم ينل مثل هذه العناية ، وقلما عولج على هذا النحو ؛ ويندر أن يضطلع باحث واحد بمثل هذه المهمة الفادحة المتعددة النواحى ؛ بيد أن هذا هو ما يضطلع به اليوم الكاتب العلامة الايطالى جاكومو برامبولينى ؛ فهو يشتغل منذ أعوام بوضع تاريخ عام للآداب Storia unviersale della Letteratura والمعروف أن إيطاليا تجيش اليوم بنهضة علمية وأدبية كبيرة ، وقد عنيت الحكومة الايطالية بالاشراف على إصدار موسوعة (دائرة معارف) إيطالية هى اليوم من أحدث وأقيم الموسوعات ؛ وهى تشجع الحركة الفكرية بمختلف الوسائل ، والسينور برامبولينى علامة واسع الثقافة ، وكاتب وافر الخصب ؛ ولم يرعه أن يضطلع وحده بكتابة تاريخ عام للتفكير الانسانى ، وقد استطاع أن يصدر حتى اليوم جزأين من تلك الموسوعة الشاسعة ؛ ولكنهما يدلان على ما بذل مؤلفهما من الجهد المستفيض ، وما يمتاز به بحثه من الرسوخ والدقة . ويتناول الجزء الأول الذى تربى صفحاته على الألف ، تاريخ التفكير فى المشرق وفى العصور الغابرة ؛ فالأدب الصينى وشعراؤه وفلاسفته ، والأدب اليابانى ، والأدب الهندى وتراثه الفلسفى القديم ، والأدب العربى فى مختلف نواحيه ، سواء فى الجزيرة أو مصر أو أفريقية أو اسبانيا وصقلية ، ثم الأدب الفارسى منذ سيروس إلى عصرنا ، والأدب التركى ، والأدب التتارى : هذه كلها يعالجها الأستاذ برامبولينى فى الجزء الأول من موسوعته بأسلوب بديع فائق ؛ ثم يعالج إلى جانبها آداب العصور الغابرة التى تغذت منها الآداب الأوربية ، مثل الأدب الفرعونى ، والأدب الأشورى ، والأدب الاسرائيلى ، والآداب اليونانية والرومانية بكل ما وسمت من ألوان الشعر والفن والجمال

ويصل الأستاذ برامبولينى فى الجزء الثانى من موسوعته فى استعراض تاريخ التفكير الانسانى حتى العصور الوسطى ، وذلك بعد أن يستعرض الآداب النصرانية الأولى فى المشرق والمغرب ، ويعرض مراحل هذه العصور الغامضة فى وضوح ودقة ؛ ويخصص عدة فصول قيمة للأدب البيزنطى ، والأدب العبرى فى العصور الوسطى ، ثم يتبسط فى الكلام على الأدب اللاتينى فيخصه بنحو مائة وخمسين صفحة من الألف التى يضمها هذا الجزء ؛ ومما يلفت النظر فى هذا الجزء بنوع خاص أن المؤلف يفيض فى تاريخ الآداب الجرمانية والسكسونية الشمالية القديمة التى قلما يعني الباحثون بأمرها . وقد عني الأستاذ برامبولينى فوق ذلك بأن يزين موسوعته بطائفة عظيمة من الصور والنقوش الهامة تزيد فى رونقها وطلاوتها

وكان لصدور هذه الموسوعة الأدبية الشاسعة وقع عظيم فى الدوائر العلمية الايطالية والأجنبية ، خصوصاً وأن مؤلفها مازال شاباً معدوداً من الكتاب الشبان ، ومع ذلك فقد أبدى فى إخراج مؤلفه سعة فى البحث والتحقيق قلما يضطلع بها الشيوخ ؛ وتعتبر الدوائر العلميـة أن هذه الموسوعة من أقيم ما ظهر حتى الآن فى تاريخ الآداب العام ، وترجو أن يوفق مؤلفها إلى إتمامها حتى عصرنا ، لتغدو مرجعاً بديعاً لمراحل التفكير الانسانى

كتاب عن حياة العذراء

صدر أخيراً كتاب للكاتبة الانكليزية مارى بوردن عن حياة السيدة مريم العذراء بعنوان « مارى النصرانية » ، فأثار ظهوره ضجة كبيرة فى دوائر الأدب . ذلك لأن الكاتبة تعالج حياة العذراء من ناحية إنسـانية ومنزلية محضة ، وتعرض بأسلوب مؤثر قصة حبها الأموى ؛ وتدلل الكاتبة على معرفة دقيقة بفلسطين والحياة اليهودية ، ومواطن المسيح ، وحياته الأولى ؛ وتصور لنا « مارى » (السيدة مريم) هائمة بحب ولدها متعلقة

به ، جزعة على انفصاله ، مرتابة فى صحة رسالته الى ما قبل الخاتمة المفجعة . وتقول لنا إنها استندت فى تصوير هذه الحياة المؤثرة الى الكتب المقدسة ، وبخاصة الى العهدين القديم والجديد ، والى أقوال السيد المسيح ، والى كتب الصلاة العبرية والتلمود وغيرها ، ثم الى بعض الكتب التاريخية التى تلقى ضياء على هذا العصر ؛ ثم تقول لنا إنها اضطرت منذ البداية أن تخوض ذلك الجدل الخالد الذى يتعلق بأسرة المسيح ، والذى لبث مدى قرون يثير بين أحبار الكنيسة أشد الخصومات.

وكتاب السيدة مارى بوردن يعتبر فى معنى من المعانى قريناً لكتاب المؤرخ الفرنسى « رينان » عن حياة المسيح ؛ فقد أثار كتاب رينان يوم ظهوره ضجة عظيمة ، ونال من الدوائر العلمية أعظم تقدير ، لأن مؤلفه استطاع أن يتبسط بجرأة وقوة فى شرح الجانب الانسانى من حياة المسيح ؛ وهذا مافعلته مارى بوردن فى بسط حياة العذراء

هنرى بوردو يدافع عن فيوليت نوزيير

حكم القضاء الفرنسى أخيراً بالأعدام على فيوليت نوزيير ، وهى الفتاة التى قتلت أباها وشرعت فى قتل أمها بالسم لكى ترث مالها ، فاستقبل الرأى العام هذا الحكم بالرضى ، ولكن هنرى بوردو الكاتب الكبير وعضو الأكاديمية الفرنسية — وهو محام قديم — حمل على هذا الحكم ، وأنشأ فى دفاع فيوليت نوزيير فصلاً بديعاً قال إنه يصور دفاعه كمحام عن هذه الفتاة القاتلة لو أنه دعى للدفاع عنها . ومما جاء فى هذا الفصل : « لقد كان فيما مضى فى هذه القاعة شخص كانت تغلبه الرحمة ؛ وقد حمل هذا الشخص وأتى به واختفى فى مكان لا نعرفه ، فى بعض زوايا هذا القصر — قصر العدالة ؛ ولقد كان يحمل الشقاء الانسانى مهما بلغ ، وكان يدعو اليه كل بائس وكل مذنب ، ويعاونهم على حمل مصائبهم أو جرائمهم . ولكن فيوليت نوزيير لم تعرفه ، ولم يرشدها اليه انسان ؛ وقد حرمت من كل شىء حتى وجود الآله

أتجرؤون الآن إذاً أيها السادة المحلفون أن تنزعوا منها الحياة ؟ إن الحياة هى كل ما تبقى لها ، أتجرؤون على نسيان أولئك الذين خلقوا هذا الوحش ورعوه ؟ أتجرؤون أن تنزعوه من اصوله ، ومن محيطه ، ومن شركائه ، فتحكموا بالاعدام على هذه الطفلة التى لم تجاوز التاسعة عشرة ، والتى اتهمت بأشنع الجرائم ؟ ارجعوا إذاً الى منازلكم ، وتأملوا أولادكم ، واسألوا أنفسكم ماذا عسى يصيروا اليه اذا رفعتم عنهم رقابتكم وحبكم ، واذا حرمتموهم من الشفقة الانسانية ، واذا حرمتموهم من معرفة الله . . . »

رسائل جديدة لشاتوبريان

عرضت أخيراً للبيع ضمن مجموعة ثمينة من الكتب والمخطوطات النادرة ، عدة رسائل خطية لشاتوبريان الكاتب الفرنسى الأشهر ، وهى الرسائل التى كتبها الى مدام كوستين ، بين سنتى ١٨٠٤ و١٨٠٦ ، أثناء رحلته فى المشرق ، ثم سنتى ١٨٢١ و١٨٢٣ ؛ وقد بيعت هذه الرسائل ، وعددها ثلاثون بمبلغ ٥٤٦٥ فرنكا (أو ما يساوى نحو ثمانين جنيها) ؛ ولكنها بيعت متفرقة كل رسالة على حدتها ، وبلغ ثمن واحدة منها فقط ١٠٢٥ فرنكا (نحو ١٥ جنيها) ، وهى عبارة عن ثلاث صفحات ، يحمل فيها شاتوبريان على الكنيسة ورجال الدين ، ويخاطب صديقته بما يأتى « أأنت إذن حزينة جداً ؟ ولماذا ؟ ألأن عصافيرك قد ماتت ؟ ومن ذا الذى لا يموت ؟ أم لأن بلابلى قد طارت ؟ إنك تعلمين أن كل شىء يطير ، وفى مقدمة الأشياء الطائرة أيام حياتنا » ومن هذه الرسائل رسالة فيها ثلاث كلمات فقط وهى « الى الغد أيتها المتذمرة ! » ، وقد بيعت وحدها بمبلغ ٢١٠ فرنكات

جائزة نوبل

لبثت جوائز نوبل الطبية مدى حين وقفاً على العلماء الألمان والنمسويين ؛ ولكنها منحت هذا العام (سنة ١٩٣٤) الى ثلاثة من العلماء الأمريكيين هم الأساتذة : جورج نيوت ، ووليم مورفى من أساتذة جامعة بوسطن ، وهويل من أساتذة جامعة روشستر ، وذلك لاكتشافاتهم الخاصة بعلاج أمراض الكبد فى أحوال فقر الدم ، وهى اكتشافات كان لها أعظم شأن فى تقدم الطب والعلاج فى هذه الناحية ، وقيمة الجائزة التى خصتهم ١٦٢،٦٠٨ كروناً سويدياً ، أو ما يساوى نحو تسعة آلاف جنيه ، وزعت بينهم بالتساوى

من الرسالة الى الوادى

ترجو الرسالة من زميلتها الوادى أن تعتقد أن ما نشر هنا عن لجنة التأليف والترجمة والنشر إنما كان بموافقة الأستاذين الكاتبين (ليكثر الذين يعلمون من أمر لجنتنا ما نحب أن يعلم) كما تمنت هى.

القصص

منذ أحد عشر عاما فى سان مالو

للكاتب الشهير بانيت استرانى
Panaït Estrati

ترجمة على كامل

فى اليوم الخامس عشر من أغسطس الماضى كان قد مضى خمسة عشر عاماً على نشر قصتى الأولى (كيرا كيرالينا) فى مجلة (أوروبا)

لقد كنت فى ذلك الوقت رجلاً سعيداً . فقد كانت صحتى أولاً خيرا مما هى اليوم ، ولم أكن أحمل هذه المشاغل التى تسحقنى سحقاً . كذلك كنت أشعر بالسعادة لأننى كنت قد انتهيت من كتابة قصتى (كيرا) وأنا أشتغل مصوراً فوتوغرافياً متنقلاً أنعم بالحرية والمرح . وكنت أعتقد أننى قد (فتحت ثقباً فى السماء) كما يقولون فى رومانيا . وأخيراً كنت سعيداً لأنه كان لى صديقة صغيرة من الالزاس أرادت عن طيبة خاطر أن تشاركنى مصيرى كمصور فوتوغرافى متنقل وليس هذا بالأمر اليسير

كان الشهر شهر يوليو عند ما اتخذت أولاً طريق بانيول دولورن ، وقد تسلحت بجهاز فوتوغرافى جديد وجميل تجاورنى رفيقتى الباسلة . على أننى لم أقم إلا مدة قصيرة فى هذه البلدة المتعبة للأعصاب حيث شراب السدر الرائع ، والغابة الممتدة الأطراف ، ولم يكن شراب السدر هو السبب فى قصر مدة إقامتى ، بل السبب هو تلك الغابة التى بها ، ذلك أن صديقتى كانت تحبها حباً جماً . وا أسفاه ! لقد كانت تحبها على الخصوص حين تسبب لها الآلة الفوتوغرافية الضيق والعصبية فتخلق تلك المشاجرات المحبوبة التى هى فتنة الحياة البوهيمية وبهجتها . ولكى تسرى عن نفسها كانت تختفى فى الغابة حيث كان من العسير على أن أجدها حتى بعد مسير كيلومترات وساعات من الصياح . ذلك الصياح الذى كان يبح صوتى ثلاثة أيام . وعند ما يهبط الليل كانت رفيقتى تؤدى لى من الخدمات وهى نادمة مفعمة بالحب لى أكثر من أى وقت آخر ، وذلك مما كان يغمرنى بالسعادة والنعيم

وبعد أسبوع قلت لنفسى : ماذا يهم ! يجب أن أذهب لأجرب آلتى فى أماكن عارية مكشوفة يمكن فيها رؤية رفيقتى من بعيد عند ما ترغمها الضرورة على الهرب من أجل تهدئة خاطرها

وانتقلنا فعلاً إلى بونتورسُن ثم إلى جبل سان ميشيل . ولما كنت قد ربحت ربحاً عظيماً فى بانيول دولورن اعتزمت سكنى الجبل نفسه برغم ارتفاع أجره ، وعلى الامتناع عن العمل مدة يومين ، زرنا خلالها آثار المكان التاريخية ، وأكلنا (عجة الأم بولارد) وتأملنا ملياً فى مد البحر وجزره أثناء النهار والليل . وبعد هذين اليومين حملت آلتى ، وابتدأت أصور الانجليز الذين يريدون أن يحتفظوا بصور تذكارية لمرورهم بجبل سان ميشيل

ففى اليوم الأول كان كل شىء على خير ما يرام ، فصورت عشر صور فى مقابل مائة فرنك . وفى اليوم الثانى انتابت فتاتى أزمة عصبية فتركتنى بقسوة وحيداً ابتداء من الظهر ، فكنت مضطراً إلى أن أسرع فى عملى دون احتياط كى أستطيع إنجازه ، على أننى لم أحاول أن أغضب ، بل كنت أتابع بنظراتى من قمة الجبل وجه صديقتى الرقيقة التى كانت تهدىء من حسرتها بالتطلع الى الأماكن الرملية العارية فى ذلك الأقليم الرائع

كنت أقول لنفسى :

— آه ! ليس لك هنا غابة تختفين فيها . إنك مرغمة على أن تحومى حول ناظرى كسمكة فى إناء زجاجى

وكنت أفكر أيضا فى شراء منظار مقرب لأرى من بعيد ما الذى تفعله امرأة غضبى وهى وحيدة فى صحراء واسعة

ولـكن فى اليوم الرابع من وصولنا عند ما غضبت صديقتى للمرة الثانية وابتعدت عن الجبل الى أبعد مما تبصره عيناى لفت نظرى راهب كان يهتم بسعادتى المنزلية الى الرمل المتحرك المشهور به ذلك الأقليم ، والذى تتعرض لخطره فتاتى إذا داومت على نزهاتها الخالية من التبصر حول الجبل أثناء المد والجزر

لقـد ملأنى هذا التحذير رعباً وفزعاً ، ففى اليوم الثانى تركت الجبل وذهبنا الى سان مالو حيث لا توجد غابة ولا رمل متحرك ، بل ساحل عظيم أو بالحرى ساحلان أو ثلاثة تمتد من بارانيه الى دينار ، وتجمع من الناس أغربهم طباعاً ، فهناك ينتقل المرء من مكان الى آخر لأتفـه الأسباب ، فليس هناك غرض يدفعه الى هذا التنقل إلا إفهام الذين يبقون فى أماكنهم أن من يغادر بلده بعد ثلاثة أيام فانمـا يكون ذلك لأنه غنى يسعى وراء التغير والتجول

ونزلنا فى فندق صغير فى بارامیه ، وحاولنا أن نجرب حظنا على ساحل البحر ، ولـكننا لم نصادف نجاحاً ، فقد كان هناك كثير من المصورين وقليل من الزبائن ، ولم أستطع طول هذه الأيام أن أحصل على نفقات الغرفة والطعام التى كانت باهظة . وأكثر من ذلك أنه كان يمر تحت المـنزل تماما ترام كأنه فيل ميكانيكى هائل ، فكان يهز المدينة بأجمعها هزاً مرعباً كلما تحركت أطنان الحديد المخيفة المركب منها . وكنت أعود فى المساء يقتلنى التعب والاعياء من حمـل آلتى الثقيلة على كتفى من أول ساحل البحر حتى منتهاه ، وكنت أستيقظ مبكراً لـكى أقتنص زبوناً من بين المستحمين المبكرين ، فـكانت حاجتى الى النوم تسحقنى سحقاً عند ما ألقى بجسمى فى السرير بعد العشاء . على أنه لم يكن هناك سبيل الى النوم قبـل الساعة الواحدة صباحاً حين تقف حركات ذلك الجسم البشع الثائر

وعندما انتهى الأسبوع الأول من إقامتنا انتقلنا الى الطرف الآخر من المدينة نبحث عن الهدوء تحت أسوارها العالية . على أننا لم نجد مسكناً معتدل الثمن ، فاضطررنا أن نقنع بغرفة ممتلئة بالأثاث المتراكم فوق بعضه بدون نظام ، وكنا ندفع أجرها عشرة فرنكات كل ليلة ، نعم كل ليلة لا كل يوم ، فقـد كان لزاماً علينا ألا ندخلها إلا فى المساء وأن نخرج منها فى السـاعة التاسعة صباحا على الأكثر . وكان محرماً علينا أن نستخدم باب الغرفة لأن فى ذلك إزعاجا لأصحاب الدار ، فكنا ندخل الى الغرفة ونخرج منها من نافذة تطل على الفناء

وانتظرت ماسوف تكون عليه صديقتى فى حالاتها المختلفة ، وكنت أنظر والحسرة تمزق قلبى الى سور المدينة الشاهق . ذلك السور الذى سوف لاتتأخر رفيقتى عن اختياره مكاناً تختفى فيه انتقاماً منى . والذى كانت تتحطم فى أسفله جماجم كثير من الناس الذين كانوا يتنزهون فوق سطوحه العالية . ولقد بلغ منى العجب مبلغاً كبيراً إذ لم يحدث شىء مما كنت أتوقع . فقد كانت رفيقتى دائمة السرور والابتسام ، وكانت تجد مجالاً واسعاً للسخرية والهزء فى غرابة أطوار صاحب الدار الذى سمح بتأجير

لجنة التأليف والترجمة والنشر

النظرية العامة للالتزامات

الجزء الأول

فى نظرية العقــد

ظهر الجزء الأول من كتاب النظرية العامة للالتزامات للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى أستاذ القانون المدنى بكلية الحقوق سابقاً والمحامى أمام محكمة النقض والابرام . وقد تناول هذا الجزء بحث نظرية العقد وما تشتمل عليه من نظريات قانونية خطيرة كنظرية تكوين العقد والتعاقد بالمراسلة والأهلية وعيوب الرضاء والبطلان والفسخ والخلف العام والخلف الخاص والدعوى غير المباشرة والدعوى البوليصية ودعوى الصورية والتعهد عن الغير والاشتراط لمصلحة الغير وتفسير العقد والمسئولية التعاقدية ونظرية الحوادث الطارئة وغير ذلك من المسائل القانونية التى تعتبر أساساً للقانون المدنى ولايستغنى عن الرجوع اليها كل مشتغل بالقانون ، وهو يقع فى ألف صفحة ومائة من القطع الـكبير ، وقد طبع فى دار الكتب

وثمن هذا الجزء جنيه مصرى واحد (عدا أجرة البريد)

ويطلب من لجنة التأليف بشارع الـكرداسى رقم ٩ ومن مكتبة الانجلو ومكتبة النهضة والمـكتبة التجارية والهـلال ومن نادى المحامين بشارع فؤاد الأول

آخر غرفة (معدة للايجار) لديه على أن يدخل المستأجر اليها ويخرج منها من النافذة !

ولكى أثير حب استطلاع فتاتى التى كانت تعجب بقصص المهربين ؟ قلت :

— إنه يبدو لى تماماً أن هذه المدينة كانت موطناً لقرصان البحر القدماء

فارتعدت صديقتى عندما تذكرت أننا نعيش تحت سقف أحد أحفاد القرصان وقالت :

— هل يؤذى الناس أولئك الرجال ؟

فأجبتها :

— إنهم لا يؤذون النساء ولا المصورين المتنقلين ، وقضيت أسبوعاً فى العمل متمتعاً بالهدوء . إننى لم أكن أربح كثيراً ولكن سعادتى فى ذلك الوقت كانت فى التصعلك مع رفيقتى المحبوبة دون أن يقع بيننا نزاع . لقد كنت مغموراً بالنعيم طوال ذلك الأسبوع ، وكنت أعتبر نفسى مديناً بهذا النعيم الى صاحب الدار حفيد القرصان

نعم لقد كان يبعث السرور الى قلب صديقتى عندما كان يرغمنا على تسلق النافذة فى الساعة العاشرة مساء ، ثم يدخل من باب المطبخ ليطلب الايجار اليومى لغرفته ، ثم يغادر الغرفة بمجرد حصوله على العشرة فرنكات . ولكن فى هذه اللحظة القصيرة كان جسمه الضخم يحرمنا من المتر المكعب الوحيد الذى سمحت لنا به الأربعة (دواليب) التى كانت تملأ غرفتنا الصغيرة ، وكانت رفيقتى تقول وهى غارقة فى الضحك كمجنونة بعد أن غيرت رأيها فى حفيد القرصان :

— ماذا يكون حالنا لو شرع خفيد القرصان يقص علينا ذات ليلة أعمال أجداده . إننا سوف نموت بالاختناق !

وهكذا كنا نظل حتى منتصف الليل فى الضحك والتنادر

ولكن لكل شىء نهاية . فى ذات ليلة بعد أن أدخل حفيد القرصان كتفيه بصعوبة مادا ذراعه ليتناول نقوده نظر الى فتاتى بعينين مفترستين وقال :

— إنك تضحكين كثيراً أيتها السيدة !

كانت هذه العبارة القصيرة هى كل ماقاله، ثم خرج ، ولكنها كانت كافية لأن يسود السكون التام فى غرفتى

قالت صديقتى وهى تنظر إلى باب الغرفة وقد انتابها شحوب شديد :

— إذن ليس مسموحاً للمرء أن يضحك فى سان مالو ، بينما يرغم على الدخول فى داره من النافذة كى ينام فى سرير أشبه بتابوت ميت مدفون تحت أربعة دواليب ؟

لقد كان لها حق فيما تقول . وكذلك كان لحفيد القرصان . ولم يبق إلا أنا الذى رأيت واجباً على أن أستسلم كالعادة مرة أخرى وأرضى بألا يكون لى كلمة فى منزلى

ولقد بذلت جهدى فى أن أحصر الضرر ، فوعدت صاحبتى أن ننتقل من الغرفة سريعاً . ولسوء حظى هبت عاصفة على البلدة فى اليوم التالى لتلك الحادثة فامتنعت علىّ الوسيلة الوحيدة لكسب قوتى ، إذ أن الرياح التى كانت تبعث السرور الى نفوس المستحمين كانت تهدد آلتى فى كل لحظة بالانقلاب ، ولكى أقاوم ساعتين على ساحل البحر من أجل التقاط اثنتى عشرة صورة ، كان لابد لى أن أحمل من الصبر ما لا يمكن أن أتطلبه من فتاتى . فقد كانت فتاة رشيقة برغم انها خياطة بسيطة . وكانت تحب أن تكون نظيفة وقوراً حسنة الهندام ، فلم تكن تستطيع العمل معى ، لأن الرياح كانت تعبث بشعرها وتضرب رداءها (الفوال) بقطع الملح فتغطيه ببقع صفراء ، ذلك أن عملها كمساعدة لى تغسل الصور وتجففها وتسلمها الى أصحابها ، كان هذا العمل يدفعها الى البحث على ساحل البحر وفى الفنادق . لذا لم تقم لى بمساعدة ما ، وتركتنى وحيداً أقوم بكل مراحل الحرفة التى نعيش منها.

قالت لى :

— تصور مركزى عند ما أكون أقذر النساء البوهيميات. ليس لى هنا ما أفعله . سأذهب لأبحث عن عمل ... فى الخياطة أو غيرها . فاذا وجدت فاعلم يقينا أننى لن أعود مطلقاً !

تركتنى عند الظهر وكان فى جيبها الصغير خمسة فرنكات ، ولم تكن قد تناولت بعد طعام الغداء ، فجلستُ على شاطىء البحر محطم القوى وعدتى على ذراعى ، أنظر اليها وهى تغيب عن عينى ، وقد ملكها الألم وأوشكت أن تنفجر بالبكاء . ولقد كان

مظهرها يحمل حقاً كل معاني الطهر والصفاء مما أفعم قلبي بالحزن والحسرة من أجل هذه المرأة الصغيرة الجميلة

ولم أتناول أنا أيضاً طعام الغداء ، فقد تراكمت على الحسرات وكانت كل ثروتي عشرين فرنكاً ، أي عبارة عن أجر ليلتين عند حفيد القرصان

وبعد أن أعددت أدوات عملي خرجت أجوب المدينة . وكانت الريح تدوي دون انقطاع ، فكنت أسائل نفسي : ما الذي يؤول اليه حالي إذا لم أوفق الى جمع الثلاثين فرنكا التي هي أقل ما يمكن أن أحتاج اليه يومياً . وكنت أعرف تماماً أن صديقتي لا يمكن أن تنفذ كل تهديداتها لأنها كانت مثلي تبغض العمل أثناء النهار ، ومع كل ذلك فان منظرها وهي تتركني بقي ماثلاً أمامي ، وكان يمزق قلبي تمزيقا . وكان حبي لواجهات المحلات التجارية يحبسني أحياناً بطريقة آلية ، على أنني كنت أتطلع الى الواجهات دون أن أرى شيئاً ، لأن فكري كان يتابع صورة فتاتي التي ظهرت لي وكأنها قد انتزعت منها كل فتنة ، فبدا لي الشعر مهملاً ، والرداء مرقعاً ، والوجه مستسلماً يائساً

وفكرت ثانية في مصيري . ذلك المصير الذي دفعت ثمنه غالياً لأشعر يوماً بشمس الحرية تدفئني ، ومثلت أمامي مرة واحدة فكرة بعثت الشرر في عينيّ . فقد وجدت نفسي أمام منضدة مكتبة . وفي الوسط أمام عين الناظر ، رأيت مجلة (أوروبا) وكان غلافها الأصفر محاطاً بغطاء أخضر ، ولم يكن مكتوباً عليه غير الموضوعين الأولين من موضوعات المجلة وهما :

جوركي البلقاني بقلم زومان رولان

كيرا كيرا لينا « پانيت أستراتي

شعرت بأن ساقي قد خارت قواها ، ودخلت في المكتبة وأنا أكاد لا أستطيع السير ، ورأسي يطن طنيناً كأن بداخله بحراً هائجاً ، واشتريت المجلة وضممتها إلى قلبي المضطرب ، وذهبت كالمجنون إلى شرفة مقهى كبير وطلبت نوعاً من الشراب ، وسجائر فاخرة ، وقرأت ثم قرأت مقال (جوركي البلقاني) وأنا أذرف الدموع الحارة الصادقة على عبارات ذلك الرجل الذي كان مقاله هذا ضربة حديدية صارمة غيرت مجرى حياتي ومصيري . وبعد ذلك أرسلت رسالة تلغرافية إلى الناشر . وفي ظهر اليوم التالي وصلني بالتلغراف الأربعمائة وعشرون فرنكاً وهي حقوق تأليف قصة (كيرا) التي احتوت على اثنتين وأربعين صفحة من مجلة (أوروبا) نشرت في الخامس عشر من شهري أغسطس وسبتمبر عام ١٩٢٣

وفي الليلة التي تلت هذا الحادث العظيم في حياتي كنت مريضاً لما انتابني من النعيم والسعادة فلم أنم مطلقاً ، وأطبقت ذراعيّ في صمت ، ناسياً رفيقتي التي لم تكن تفهم شيئاً لا حالتي ولا (جوركي البلقاني) وساءلتُ قلبي وهو خير أصدقائي وأكبر أعدائي قائلاً :

إلى أين نحن ذاهبون ؟ إلى أين نحن ذاهبون ؟

لم نذهب إلى أي مكان .. ولقد صدق رومان رولان حين قال لي يوماً من الأيام :

(إن الانسان في هذا العالم لا يحدث في عمله أو حياته تغييراً كبيراً)

الاثنين ١٢ نوفمبر ١٩٣٤
محلات شملا
تفتتح التوسيع الكبير في فرع
البياضات
لمدة أسبوع فقط
أقمشة قطنية — حرير
أثمان مخفضة للغاية
زيارة واحدة لهذا الفرع من كل سيدة أنيقة لا بد لها من الشراء